عناصر الإبداع الفنِّي
في شعر مُحَمد الحَلَوِيّ

"دراسة تحليلية فنِّيَّة"

إعداد

زعبوط جهلان مصطفى صابر

مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنين في قنا

عناصر الإبداع الفني في شعر محمد الحلوي دراسة تحليلية فنية

زعبوط جهلان مصطفى صابر
قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني: abuziyadvip@gmail.com

الملخص:
هذا بحثٌ تحليليٌّ فنيٌّ بعنوان:(عناصر الإبداع الفني في شعر محمد الحَلَوِيّ" دراسةً تحليليةً فنيةً ") وقد انتظمت خطة هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول يتضمَّنوا ستة مباحث:
المقدمة: وقد تحدَّثْتُ فيهاعن أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ومنهج البحث وخطته .
التمهيد: وقد اشتمل على التعريف بالشاعر ونتاجه الأدبي، وأراء النقاد في شعره، ووفاته.
الفصل الأول بعنوان:الوازع الديني وحُبُّ العقيدة والتَّأمُّل في دلائل الوحدانية.
الفصل الثاني بعنوان: النَّزعة الوطنيةَّ والقوميَّة وحب الولاء.
الفصل الثالث بعنوان: براعة التَّكْوين الفنِّي والجمالي ودِقَّة الأدَاء.
فإذا كان نجاح الفنون الأدبية عامةً، والشعر على وجه الخصوص يعتمد اعتمادًا كلِّيًا على إقناع المتلقِّي والتأثير فيه فإنَّ وسائلَ ذلك قد تختلف من أديبٍ لآخَر ومن شاعرٍ لشاعر كلٌّ على حسب مقدرته الأدبية، ومدى امتلاكه لأدواته الفنية، ومُحَمَدُ الحَلَوِيّ شاعرٌ وجدانيٌ محافظٌ ذو شعريَّةٍ إبداعيَّة تجربةٍ تعتمدُ على الكثير من وسائل الإقناع والجذب؛ وعليه جاء هذا البحث بعنوان:(عناصر الإبداع الفني في شعر محمد الحَلَوِيّ" دراسةً تحليليَّةً فنيةّ")

وبعد،،،، فأسأل اللهَ العليَّ العظيم التَّوفيق والسَّداد، كما أسأله بكرمه وجوده أنْ ينالَ هذا العملَ الاعجاب والقبول، وأكون قد وفقت في اختياره ومعالجته أدبيًّا وفنيًّا؛ حتى يتسنَّى للدَّارسين الاستفادة منه، ويثمر الثمرة المرجُوَّة، فإنْ تحقَّقَ ذلك فلله الفضل والمِنَّة، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني بَشَرٌ، وقد اجتهدت وحاولت ما أمكن، والله وَليُّ التَّوفيق والسَّداد .

الكلمات المفتاحية: محمد، الحلوي، عناصر، الإبداع، الفني

Elements of artistic creativity in the poetry of Muhammad Al-Helwi, an artistic analytical study

Zaaboot Jahlan Mustafa Saber
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, Al-Azhar University, Egypt
Email: abuziyadvip@gmail.com

Abstract

This is a technical analytical research entitled: (The Elements of Artistic Creativity in Muhammad Al-Hilawi's Poetry, "An Analytical Technical Study").

Introduction: I spoke in it about the importance of the topic, the reasons for choosing it, and the research method and plan.

Preface: It included introducing the poet and his literary production, critics' opinions on his poetry, and his death.

The first chapter is entitled: Religious Consciousness, Love of Creed and Meditation on Evidence for Oneness.

The second chapter is entitled: Patriotism, patriotism and the love of loyalty.

The third chapter is entitled: The ingenuity of artistic and aesthetic composition and accuracy of performance.

If the success of the literary arts in general, and poetry in particular, depends entirely on persuading and influencing the recipient, then the

means for that It may differ from one writer to another and from one poet to another, each according to his literary ability and the extent to which he possesses his artistic tools. Muhammad al-Hilawi is a sentimental conservative poet with creative poetry, an experiment that relies on many means of persuasion and attraction; Accordingly, this research came under the title: (The Elements of Artistic Creativity in the Poetry of Muhammad Al-Hilawi, "An Analytical Technical Study").

And after, I ask God Almighty to grant success and payment, as I ask Him by His generosity and existence that this work obtains admiration and acceptance, and that I have succeeded in selecting it and treating it literary and artistic; So that the scholars can benefit from it and bear the desired fruit.

Keywords: Muhammad, El-Helwy, Elements, Creativity, Artistic

الْمُقَدِّمةُ

الحمدُ لله على وَافِرِ فَضْلِه وجزيل نعمائه حمدًا يليق بجلاله وجماله وعظيم سلطانه، أمرَنا بالتدبُّر والتفكر في خلقه؛ ليبُثَّ فينا الإقناع والاعتراف بجلاله ووحدانيته، والصّلاة والسّلام على رسول الهدى، ونبي التُّقى أبلغ الناس لسانًا، وأفصحهم بيانًا، وأعظمهم إقناعًا وتأثيرًا، وعلى آله وأصحابه مصابيحُ الدُّجى، وأنوارُ الهدى، وكلِّ مَنْ سار على دَرْبِهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعد،،،،

فإذا كان نجاح الفنون الأدبية عامةً، والشعر على وجه الخصوص يعتمد اعتمادًا كلِّيًا على إقناع المتلقِّي والتأثير فيه فإنَّ وسائلَ ذلك قد تختلف من أديبٍ لآخَر ومن شاعرٍ لشاعر كلٌّ على حسب مقدرته الأدبية، ومدى امتلاكه لأدواته الفنِّيّة، ومُحَمَدُ الحَلَوِيّ شاعرٌ وجدانيٌ محافظٌ ذو شعريَّةٍ إبداعيَّة تجربةٍ تعتمدُ على الكثير من وسائل الإقناع والجذب؛ وعليه جاء هذا البحث بعنوان:(عناصر الإبداع الفنِّي في شعر محمد الحَلَوِيّ" دراسةً تحليليَّةً فنِّيَّةً") ويرجع اختياري لدراسة وسائل بواعث الإبداع الفنِّي في شعر محمد الحَلَوِيّ للأسباب الآتية:

١ ـــــــ من خلال قراءتي لشعر الحَلَوِيّ، وإعجابي الشديد بتجربته تبيَّن أنَّه يتَّسِمُ ببراعةٍ فنيَّةٍ وذوقيَّةٍ فائقةٍ، وقدرةٍ عاليةٍ على الإقناع والتأثير في المتلقي، كما أنَّه يمتلك براعةً عجيبةً في الأداء.

٢ ـــــــ أنَّ الحَلَوِيّ يُعَدُّ من الشعراء المحافظين، شعره عمودي يتميز بسهولة القراءة وسرعة الفهم، وبلاغة التأثير.

٣ ـــــــ أنَّ ألفاظَ محمدالحَلَوِيّ مناسبة جدًا لمعانيه، وأفكاره مناسبة

لمراميه؛ مما كان له الدور البارز والمُميَّز في الإقناع والجَذْب والتأثير.

أمَّا عن المنهج المتبع في الدراسة فهو المنهج التحليلي الفنِّي حيث إنَّه يبحث في النصوص الأدبيَّة وينظر إليها نظرةً متكاملة، ويعالجها من كل الاتجاهات، فيُتيحُ الوصولَ إلى المضامين الفنيَّة والجماليَّة للنص الشعري، ويتَّعرف على الدِّلالات الإبداعيَّة والمآثر الواقعيّة والخياليّة الَّتي يُنتجها الشاعر ويؤثر بها في السامع.

أمّا عن خطة البحث فقد اشتملت على مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وفصلين يشملان أربعة مباحث :

المقدمة: وقد تحدَّثْتُ فيهاعن أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ومنهج البحث وخطته .

التمهيد: وقد اشتمل على التعريف بالشاعر ونتاجه الأدبي، وأراء النقاد في شعره، ووفاته.

الفصل الأول بعنوان: بواعث الإبداع الفني في شعر الحَلَويّ.

الفصل الثاني بعنوان: براعة التَّكْوين الفنِّي والجمالي وَدِقَّة الأدَاء.

وبعد،،، فأسأل اللهَ العليَّ العظيم التَّوفيق والسَّداد، كما أسأله بكرمه وجوده أنْ ينالَ هذا العملَ الاعجاب والقبول، وأكون قد وفقت في اختياره ومعالجته أدبيًّا وفنيًّا؛ حتى يتسنَّى للدَّارسين الاستفادة منه، ويثمر الثمرة المرجُوَّة، فإنْ تحقَّقَ ذلك فلله الفضل والمِنَّة، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني بَشَرٌ، وقد اجتهدت وحاولت ما أمكن، والله وَليُّ التَّوفيق والسَّداد .

الباحث

د. زعبوط جهلان مصطفى صابر

مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في قنا

تمهيد

ويشمل: ترجمة مُوجَزة للشاعر تتضمَّن الحديث عن نَسَبِه ، وحياته وشعره، ونتاجه الأدبي، وآراء النقاد فيه.

أ ـــــ اسمه ونسبه ومولده :

هو(مُحَمَّد بن عبد الرحمن الحَلَوِيّ)، شاعرٌ مغربيٌّ كان يُلَقّب بـــمُحَمَّد الحَلَوِيّ، ولد سنة ألف وتسعمائة واثنتين وعشرين ميلادية، الموافق السَّادس من يناير بمدينة (فاس) بالمغرب، حيث كان لها الفضل بعد الله ــ سبحانه وتعالى ــ في تكوينه الثقافي، وقد اعترف بهذا، وأعلن ولاءه وحبَّه لها في مواضع كثيرة من شعره .

ب ــ نشأته ومراحل حياته :

نشأ(محمدالحَلَوِيّ) في أسرةٍ محافظة عُرِفَت بالتزامها بقيم الدِّين، وتمسُّكها بتعاليمه يقول:" وابتدأت تعليمي فيها مُرورًا بالكُتَّاب، وانتهيت فيها بجامعة القرَوِيِّين الَّتِي قَطعْتُ فيها من العمر، اثنتي عشرةَ سنةً، حَصَلتُ بعدها في سنة ألفٍ وتسعمائةٍ وسبعٍ وأربعين من الميلاد على الإجازة في اللغة والأدب العربي، يقول: فقد كنت منذ البداية شغوفًا بالأدب، ميالًا إلى تذوق الشّعر ومعجبًا بأعلامه في عصوره الذَّهبية الزاهرة، ومن هنا كان انكبابي على دراسة الشّعر والارتواء من منابعه الأصيلة وليدَ رغبةٍ لا أستطيع دفعها ... وفي سنٍّ مبكرة من حياتي كنت أُنشئ القصائد الَّتِي ألقيتُها في الحفلات الدينية والوطنية ، فتنال رضا وإعجاب السّامعين " [1] .

---

(1) الأب روبرت: كامل اليسوعي:(أعلام الأدب المعاصر: سير وسير ذاتيَّة) ، مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر، جامعة القديس يوسف، الشركة المتحدة للتوزيع، المجلد الأول، ط١، بيروت١٩٩٦م، ص ــ٥٠٨ .

كما تَعَلَّم الدِّين" بجامعة القرويين، وكانت في ذلك الوقت منارَةً للعِلْمِ حيثُ تَخرَّجَ منها العديد من رجالات الفكر والدِّين والأدب، ومن هؤلاء الشيخ (المختار السوسي)، والفقيه (مُحَمَّد الدينوسي)، وغيرهما من أعلام المغرب المعاصرين في جامعة القرويِّين، يقول: لقد حصلتُ منها على الشهادة العالميَّة، وعملت مُدرسًا بالمرحلة الثانويَّة، والمدرسة العُليا، ومفتشًا للتعليم الثانوي.، فقد تَخرَّجَ علَى يديه أجيال تَحْتلُّ اليومَ مَناصبَ ساميةً كما وفَّرتْ له هذه المدينة الإمداد الشّعري، فكانت قصائده من أكثر القصائد شيوعًا عن غيره من الشُّعراء " [١] .

وفي" سنةِ ألفٍ وتسعمائةٍ وسبعٍ وستين من الميلاد عُيِّن أستاذًا بجامعة القرويِّين بـــ(فاس)، ثم عُيِّنَ أستاذًا بمدرسة الأساتذة بـــ(تطوان)، ثم عُيِّنَ مُفتشًا للتعليم الثَّانوي بإقليم (تطوان)، ثم التحق بكُتلة العمل الوطني الَّتِي أصبح اسمها (حزب الاستقلال) في سنة ألف وتسعمائة وستٍّ وثلاثين ميلاديَّة، حيث كرَّس جهوده لخدمة هذه القضية الوطنيَّة حيث دخل في صفوفها، وسجن مع أعضائها في أحداث، ألفٍ وأربعةٍ وتسعمائةٍ وأربعين من الميلاد، عن تقديم وثيقة الاستقلال" [٢]

---

(١) معجم البابطين، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الشّعري، ٢٠٠٨م، وكذلك مقال وفاة الشّاعر الحَلَوِيّ آخر، القيم الكلاسيكية بالمغرب الأوسط ١٣ذو القعدة ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م، العدد٢٤، الرِّباط .

(٢) الأب روبرت: كامل اليسوعي:(أعلام الأدب المعاصر :سير وسير ذاتيَّة)، مرجع سابق، ص ــ٥٠٨ .

ج ــ نتاجه الأدبي :

استطاع (الحَلَوِيّ) من خلال مساره الأدبي، أنْ يتميَّزَ في مجال الشّعر العربي المغربي، حيث كانت حياتُهُ حَافلةً بالعقائد في مجالات الشّعر وخدمة اللغة العربية الفُصحى، والَّتِي كان من أشد المُدافعين عنها، ومن بين ذلك أعماله الفنيّة، وكتاباته، الَّتِي منها : دواوينه الشّعريِّة الثلاثة وهي :

أ ــــــــ أنغام وأصداء ١٩٦٥م.

ب ــــــ شموع ١٩٨٨م.

ج ــــــ أوراق الخريف ١٩٩٦م.

ومن مؤلفاته :

أ ــــــ مُعجم العربيَّة الفصحى في العاميَّة المغربيَّة ، والذي درس فيه " التقاربُ بين العربيَّة الفصحى واللهجة المغربيَّة " [١] .

ب ــــــ مسرحيته الَّتِي باسم (أنوال) ١٩٨٦م.

د ــــــ شاعريته وآراء النُّقاد في شعره :

يقول عن نفسه:" وكان ممَّا غذّى شاعريتي انتفاضة الشعب المغربي الَّتِي جنَّدت كل الطاقات للسير بها في معركة النِّضال والتحرير من نير الاحتلال، وفجَّرت قرائح الشُّعراء وأمدَّتهم بروحٍ تتحدى بإشعاعها كل قُوَى الاحتلال ... يقول: وفي غمرة هذا الحماس لا يسع الشّاعر أنْ يقفَ مكتوفًا أمام الأحداث الَّتِي يُسطرها الشعب بدمه "[٢] .

---

(١) معجم البابطين، مؤسسة عبد العزيز سعود، البابطين والإبداع الشّعري، ٢٠٠٨م .

(٢) الأب روبرت: كامل اليسوعي:(أعلام الأدب المعاصر: سير وسير ذاتية)، مرجع سابق، ص ــ٥٠٨ .

وقد استقى موقع(الإسلام اليوم) شهادات عن الشّاعر الرَّاحِل، حيث قال النَّاقد الدكتور(سعيد الغزاوي) أستاذ النقد الأدبي بكلية الآداب بمنسيك بالدار البيضاء:" برحيل الشّاعر(مُحَمَّد الحَلَوِيّ) تفقد القصيدة المغربية دعامة من دعاماتها في القرن العشرين، وتظل الأمانة في أعناق الجيل التَّالي للشعراء المغاربة الأُصلاء الذين أدركوا مكانة الشّعر، ومعنى أن يكونوا شعراء لهم رسالة يؤدونها في تجاربهم الشّعريِّة"، وقال:" إنَّ المكتبَ الإقليميَّ لرابطة الأدب الإسلامي العالميَّة بالمغرب كان يعتزم تنظيم ندوة تكريميَّة؛ احتفاءً بالشّاعر(مُحَمَّد الحَلَوِيّ) بوصفه شاعر القصيدة المغربيَّة العموديَّة بامتياز، لكن قدَرُ اللهُ سَبقَ ما ارتآه المكتب، ولا راد لقضائه"، وعن المرثيات الَّتِي كان (الحَلَوِيّ) ينظمها قال الغزاوي: المرثيَّات الَّتِي نَظَمَهَا الشّاعر الفقيد(مُحَمَّد الحَلَوِيّ) ، كثيرةٌ، ومن بينها مرثيَّته (موت شاعر) الَّتِي يدافع فيها عن رسالة الشّعر وصلته بالقِيَم الإنسانية الرفيعة".[١].

وعن إجماع النُّقاد على اعتبار الشّاعر الرَّاحل شاعرًا تقليديًّا، قال الدكتور الغزاوي لـــ(الإسلام اليوم): "يكثر الحديث عن تصنيف الشُّعراء المغاربة إلى تقليديين وحداثيين، وينعون على (الحَلَوِيّ) منهجه العمودي في القصيدة، وهم في الحقيقة يمدحون أصالة الشّعر الذي ظلَّ مُحافظًا على الإيقاعات العروضيَّة والصُّور الأصيلة والأساليب البلاغيَّة الراقية[٢].

---

(١) ينظر: إدريس الكنبوري:(الحَلَوِيّ.. شاعر المغرب الأقصى)، مقال على شبكة الإنترنت الدولية، موقع الإسلام اليوم ...www.uopapylon.ed .

(٢) ينظر: المرجع السابق .

أمَّا رئيس اتحاد كُتَّاب المغرب الشّاعر (حسن نجمي) فقال: "كان الشّاعر (مُحَمَّد الحَلَوِيّ) آخر الشُّعراء المغاربة الكبار الذين كتبوا القصيدة العمودية، وإننا نفقد برحيله شاعرًا كبيرًا حقيقيًّا ارتبط اسمه بالقصيدة المغربية الحديثة"، وأضاف قائلًا: " إنَّنا ـــــــ ومن دون شك ـــــــ لا نستطيع أنْ نتصور خريطة الشّعر المغربي بدون اسمه، وحضور صوته، وثراء تجربته ـــــــ رحمه الله ـــــــ فبالرَّغم من حرصه الشَّديد على تكريس الكثير من جهده الشّعري والإبداعي لتأريخ الكثير من الأحداث السياسيَّة الوطنيَّة، والقوميَّة، والإنسانيَّة فقد تمكَّن من أنْ يخترقَ إكراهات الحدث السِّياسي بروحه الإبداعيَّة الراقية، وبضوئه الدَّاخِلي، وبشفافيته، ورؤيته البسيطة التلقائية الحميمة [١].

وقالت: الشّاعرة (أمينة المريني) عضو رابطة الأدب الإسلامي العالميَّة ـ لـ(الإسلام اليوم): إنَّ الشّاعرَ (مُحَمَّد الحَلَوِيّ)" كان واحدًا من الشُّعراء الذين قلّمَا تجود بهم العربية مثل (شوقي) و(الجواهري)، عاش كبيرًا ومات كبيرًا، فكان وطنيًا غيورًا، ومسلمًا فخورًا معتزًّا بدينه، لم ينل إلَّا القليل، ولم يوفّ حقه في وطن لا يلتفت للمستحقين إلَّا بعد وفاتهم[٢] .

ه ـ وفاته:

فقدت السَّاحة الثقافية والأدبيَّة في المغرب والعالم العربي واحدًا من كبار الشُّعراء في المغرب الأقصى الذين أثرَوْا ديوان الشّعر الإسلامي

---

(١) ينظر: إدريس الكنبوري:(الحَلَوِيّ.. شاعر المغرب الأقصى)، مقال على شبكة الإنترنت الدولية، مرجع سابق .

(٢) ينظر: المرجع السابق .

الحديث، وظلوا مُتشبثين بالأصالة العربية والإسلامية في القصيدة من حيث الشكل الشّعري، والاقتراب الموضوعي من قضايا الأمة وهمومها .[١]

ففي يوم الجمعة الموافق العاشر من ذي القعدة عام ألفٍ وأربعمائةٍ وخمسةٍ وعشرين للهجرة، الموافق الرابع والعشرين من ديسمبر لعام ألفين وأربعة من الميلاد، رحل الشّاعر المغربي الأصيل (مُحَمَّد الحَلَوِيّ) عن سنٍّ يُناهز الثَّانية والثّمانين، بعد حياةٍ حافلةٍ بالعطاء في مجالات الشّعر والأدب، وخدمة اللغة العربية الفصحى الَّتِي كان من أشد المُدافعين عنها في وجه دعاة التبعيَّة والنَّزعة الفرنكوفونية، مُخلِّفًا وراءه صرحًا شعريًّا غنيًّا، بناه طيلة ستين عامًا، طرق فيه مختلف الموضوعات والقضايا العربية والإسلامية، من سياسيَّة، واجتماعيَّة، ودينيَّة، كما جال في مختلف الأغراض الشّعريِّة من دينيات، و مرثيات، وطبيعيات وغيرها.[٢]

---

(١) ينظر: المرجع السابق .

(٢) ينظر: إدريس الكنبوري:(الحَلَوِيّ.. شاعر المغرب الأقصى)، مقال على شبكة الإنترنت الدولية، مرجع سابق .

الفصل الأول
بواعث الإبداع الفنِّي في شعر الحلَوِيّ

مـــــــــــــــدخل:

إذا كانت الأعمالُ الأدبية عامَّةً والشعر على وجه الخصوص يحمل رسالة فنية ومهارية مُهمتها الإمتاع والتأثير، وبلوغ المرام بطريقة نغمية سهلة ومؤثرة، فإنَّ ذلك لا يتحقق إلّا إذا أدرك الشاعر وسائل الإقناع واغتنمها في نتاجه حتى يبلغ مراده، ويزيل الكلل والملل من المتلقي .

ولعلَّ العاملَ الدينيَّ والتَّمسُّك السَّليم بالعقيدة، وحب التأمل في الطبيعة والموجودات، من أهم وسائل الإقناع في النتاج الأدبي عامة، والشعري خاصة؛ لما لذلك من تأثيرٍ قويٍّ وفعّال على النفوس، فالمعتقد دائمًا ربما يكون له الغلبة والسيطرة على أسْرِ القلوب، ولَمْس شِغاف الوجدان.

ولقد كانت، وما تزال رسالةُ الشُّعراء وسيلةً من وسائل الإقناع لدى المُتَلَقِّين؛ لِتُبرهن على عِظم الخالق وقدرته، عَبْر التأمُل في الطَّبيعة وأشكالها من خلال نَظْمٍ يبثُّ المُتعة، ويُرسِّخُ اليقين بالله ـــــ تعالى ـــــ المُتجلِّي بجماله في كُلِّ الكائنات .

والشّاعر الفنَّان لا يكتفي بمجرد المشاهدة لمنظر أعجبه، بل يستخرج من الأشكال الَّتِي رآها وتأملها تصورات انفعاليَّة، إلى جانب الإحساس بالمُتعة، فعِنْدما يلتقط الشّاعر المناظر الخارجيَّة، ويؤدِّي به التأمُّل إلى الإثارة نحو الصُّورة الجماليَّة يثور وجدانه، ويُخرِج ما يساعده على تشكيل

صوره الَّتِي تُعَبِّر عن تجربته الإبداعية. [١]

المبحث الأول

حُبُّ العقيدةِ وبث التأمل في دلائل الوحدانية

رُبَّما لا يخفى على الكثير أنَّ الاعترافَ بوحدانيَّة الله ـــ تعالى ـــ والإقرار بعبوديَّته من أسمَى العلوم وأعظمها، فوحدانيَّة الله والاعتراف بقدرته وتجلِّي جماله في الموجودات هو أساس الحياة الرّوحيَّة، وعماد العقيدة الصحيحة؛ ولذا اتكأ(الحَلَوِيّ) على ذلك في إقناع المتلقي، وفهم مراده بطريقةٍ تُرسخ اليقينَ بتجربته، وقدرته الإبداعية على جذب المتلقي وانبهاره .

ولقد استطاع الشّاعر من خلال التَّشكيل المُؤثِّر أنْ يُعَبِّرَ عن قوة إيمانه بأنَّ اللهَ هو الخالق الوحيد للكون بما فيه من موجودات، وحين يُعَبِّرُ الفنُّ عن حقيقة العقيدة فإنَّه لا يعمل على رفعة البشريَّة، وإطلاقها من الضرورة والقيد والانحسار في النطاق المحدود فحسب؛ بل إنَّه من الوجهة الفنيّة البحتة يكون فنًا كونيًّا؛ لأنَّه يُعَبِرُ عن حقيقة الوجود . [٢]

فتشكيل الشّاعر لنتاجه، واغتنامه للمظاهر الكونيَّة يُعَبِّرُ عن رؤيةٍ دينيةٍ مصدرها الإيمان بعقيدة التوحيد، وهذه الرؤية لا تنفك عن الإبداع الفنِّي؛" لأنَّ الصلةَ بين العقيدة والفن صلةٌ قويَّةٌ، مُتَجَذِّرة مع التاريخ الثقافي

---

(١) ينظر: د. حسين نصار:(الطَّبيعة والشّاعر العربي)، دار مصر للطباعة، القاهرة ١٩٧٢م، ص١٣، ١٤.

(٢) سيد قطب:(منهج الفن الإسلامي)، دار الشروق، القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٧٤.

للإنسان، وعضوية متأصلة في تفكير كل إنسان في كل زمان ومكان ".[1]

وإذا كان الشّاعِرُ يُقِرُّ بعقيدة التوحيد، ويدعو إلى الإقرار بها في شعر يهُزُّ الوجدان، ويُثير مُتعة تأمُّل العقول، ويرسخُ اليقين في النفوس، فإنَّ ذلك يكون حتمًا مُنبثقًا عن حُبِّه للإسلام ومبادئه وأخلاقه ووسطيته، فقد دعا الشّاعر إلى الوسَطيَّة، والتحلِّي بالأخلاق السّامية، هذا ما يتضح من قوله من بحر[الكامل]: [2]

لَنْ يُرْضِيَ الإسْـلَامَ مِنْ أَقْـوَالِكُمْ إلَّا سُلُـوكٌ لَيْسَ فِيـهِ تَشَـدُّدُ
الصَّحْوُ مِنَّـا في انْتِهَـاجِ سَبِيلِهِ وَالصَـدِّ عَمَّـنْ أَعْرَضُوا وَتَمَرَّدُوا
الصَّحْوُ في إحْيَـاءِ شِرْعَتِهِ الَّتِي بِحَلَالِهـا وَحَرَامِهَـا نَتَعَبَّـدُ
آيَاتُـهُ كَالشَّمس فِي كَبِدِ السَّمَا مَـا ضَرَّهَا أَنْ لا يَرَاهَـا أَرْمَدُ!
كُلُّ الشُّعُوب بَنَتْ شَوَامِخَ مَجْدِهَا تُحَفًا، وَأَوّلُ مَا بَنَيْنَا المَسْجِـدُ
يَكْتَظُّ فِي الأَسْحَـارِ خَلْفَ مُحَـدِّثٍ وَيَؤمُّهُ الدَّانِي، ويَسْعَى الأَبْعَـدُ
وَمَسَارِجًا فِي كُلِّ لَيْـلٍ حَـالِكٍ تَهْدِي إذَا افْتُقِدَ الدَّلِيلُ المُرْشِـدُ

فالإسلام دين السّماحة واليُسْر، ومنبع المبادئ السّامية والأخلاق الكريمة الَّتِي تسمو بكل فضيلة، وتذُم كل رذيلة، جاء بشريعة حلالها بيِّن وحرامها بيِّن؛ لذلك برع الشّاعر عبر استلهامه (الشَّمس) في ضوئها ولمعانها وظهورها ببيان ووضوح مبادئ الإسلام وتعاليمه السّمحة،

([1]) عمر عبدالرحمن الساريسي:(معالم الأدب الإسلامي: المصطلح، الخصائص، القضايا، الفنون)، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، الكويت٢٠٠٣م، ص٢١ .

([1]) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ص ١٦ .

بالإضافة إلى دقته في التوظيف حيث يرقى بالإسلام ويرفع شأنه، ويجعل فائدته تَعُمُّ الجميع، كما أنَّ الشَّمس تسمو وترتفع، وتَعُمُّ بسراجها كل الكون.

كذلك يحثُّ الشّاعِرُ المسلمين على الطاعة لله ـــــ تعالى ـــــ ورسوله ـــــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــــ ، وتحمُّل المشاق في سبيلها فبها الهداية وإنارة الطريق، وذلك من خلال استخدامه للفظ(الأسحار) وهو الثُلث الأخير من اللَّيْل، فهو وقت يُضَاعَف فيه الأجر؛ لما فيه من تَحَمُّل العناء، و(المسارج)، وهي المشاعل الَّتِي تُنير الطرقات، وكأنَّ المسلمين عِنْد ذهابهم إلى المساجدَ لصلاة الفجر مشاعلُ إضاءةٍ تُنير الطريق، وتَهدي إذا افتقد المُرشد .

ومن شدة حُبِّ (الحَلَوِيّ) لدينه يَغَارُ عليه، ولا يرضى بتخاذل أمة القرآن وتقاعسها في الدِّفاع عن الدِّين، والتّكاسُل في نشر تعاليمه ومبادئه السّامية، فيقول من بحر [الكامل]: [1]

قَدْ كُنْتِ قَائِـدةً تَقُـــودُ وَقُـــدْوَةً ... مُثْلَى يَسِيرُ بِهَدْيِهَـا المُسْتَرْشِدُ
مَالِي أرَى تِلْكَ المَحَـاسِنَ أَدْبَرَتْ ... وَأرَى دَمًا قَـدْ كَانَ حَيًّـا يَجْمُـدُ
وَأَرَى رِيَاضًا قَدْ ذَوتْ وَبَلَابِـــلًا ... سَكَتتْ، وَكَانَتْ فِي حِمَاكِ تُغَرِّدُ
وَأَرَى صُرُوحًـا قَدْ تَدَاعَتْ للبِلى ... فَهَوتْ، وَأُخْـــرَى بالزَوَالِ تُهَدَّدُ!
قَدْ كُنْتِ بالقُرآنِ صَرْحًا شَامِخًا ... وَقُـــوىً لَهَـا فَوْقَ الثُرَيَـــا مَقْعَدُ
غَابَتْ شُمُوسكِ عَنْ وُجُودِ تَائهٍ ... والبَـــدْرُ أَجْلَى ما يُرَى إذْ يُفْقَـدُ!
رُجْعَى لِنَهْـــجِ اللهِ أُمَّـــةَ أَحْمَـدٍ ... فَالْعَوْدُ مِنْ بَعْدِ الضَّـــلَالةِ أَحْمَدُ

([1]) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١٤ .

لَا تَطْلُبُوا طَــوْقَ النَّجَــاةِ بِغَيْرِهِ هُوَ وَحْدَهُ فِي النَّائِبَـــاتِ المُنْجِدُ
والنَّصرُ للإِسْـــلَامِ وَعْدٌ صَادِقٌ لَا رَيْبَ فِيهِ وَإِنْ تَرَاخَى المَوْعِـــدُ

لمَّا كان شِعارُنا تقوى الله ـــ عزَّ وجلّ ـــ والعمل بما أنزل، واتِّباعِ سُنَّةِ رسوله ـــــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـــــ كُنَّا نقود الأُمم، وقدوةً يَهتدي بنا الضالة، ويخاف مِنَّا العاتية، فلمَّا تخاذلنا عن نُصرة ديننا، واتَّبعنا الشَّهوات والنَّزوات، وتخلَّفْنا عن كتاب ربنا، وسُنَّة نبيِّنا، سِرْنَا في المُؤخِّرة، وأصبحنا عُرضةً للقيل والقال، وطَمِعَ في بلادِنا ومُقدساتنا أحفادُ القِرَدَةِ والخنازير .

ونتيجة لذلك يَستدعي الشّاعر الظواهر الطَّبيعيَّة ويمزجها بغَيْرته على الدِّين، فيوظَّف(الرِّياض، والبلابل، والصُّروح، والثُّريا، والشَّمس، والبدر)؛ لِيُعَبِّرَ عن مدى ما كان علية الإسلام من الحُرية والسّلام والنَّضارة، وعلو المكانة، وارتفاع الشأن، ويَبُثُّ في أبناء الأُمة الإقناع بحُبَّ العقيدة، والرُّجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه، حتَّى نعود قادةً للعالم، ونحققَ ما كان عليه الإسلام من قبل، ونسترد مُقدساتنا، ونحميها من كيد الكائدين وبغي المعتدين .

كذلك اتخذ(الحَلَوِيّ) من شَحْذ الهِمَم، وإيقاظ المشاعر، وجَذْب الانتباه نحو الدفاع عن الدين والعقيدة وسيلة مهمة من وسائل الإبداع الفني الذي يبثُّ الإقناع والتأثير، فقال من بحر [الكامل]: [1]

يَا أُمَــةَ القُـــرْآنِ حَــان المَوْعِـدُ اليَوْمَ يَوْمُكِ لَيْسَ بَعْدُ وَلَا غَدُ
نَادَى المُؤذِنُ فَانْفُضِي عَنْكِ الكَرَى وَاسْتَقْبلِي فَجْـــرًا جَدِيدًا يولـــدُ

([1]) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١٣ .

وَتَجَـــدَّدِي فَلَقَــدْ رَأَيْتُ المَجْـــدَ فِي هَــذِي الحَيَــاةِ لِمَنْ يَتَجَـــدَّدُ

ومن عُمق تعلُّق(الحَلَوِيّ) بدينه يطرق موضوعًا دينيًّا مؤثرًا، يَنْحَى فيه منحىً صوفيًّا، فيَتَغَنَّى بالحُبِّ الإلهي الذي هام به وملك عقله ووجدانه، فيقول من قصيد: (الحُبُّ الكبير)على بحر[الكامل]: (١)

يَا حُبُّ! يَا وَهْجَ الحَيَـــاةِ وَمَنْ يُعَطِّـــ ـــرُ بالطُيوبِ وبالشَّذَا أرْجَاءها

يَا مَشْعَـــلًا بيَـدِ الحَيَــاةِ مُنوِّرًا بِشُعَاعِـــــــهِ وَمُجْلِّيًـا ظَلْمَاءهَـا

يَا بَلْسَمَ الـــرُّوحِ الَّتِي عَــزّتْ عَلَى نُطُسِ الأُسَاةِ وَلَمْ تُشَخص دَاءَهَا

وَبِكَ اسْتَقَامَتْ فِي الشُّعُوبِ مَمَالِكٌ فَقَدَتْ بِـــدُونِكَ عِزَّهَا وبَقَــاءَهَــا

حَوَلْتَ ضَارِيهِمْ حَمَامًا وَادِعًـــــا وَذِئَابَهُمْ في الغَابِ تَرْعَى شَاءَهَـــا

أشْرَقْتَ في قَيــسٍ وَلَيْلَى شُعْـلَـــةً لَمْ تَسْتَطِع مِحَنُ الهَوَى إطْفَاءَهـــا

بِكَ هِمْتُ في ربِّي وفي آيـــاتــــهِ وَشَمِمْتُ مِلء مَشَاعِرِي أشْذَاءَهــا

وَرَثَيت إخْوَانًــا وَلِي نَفْــسٌ عَلَى سَفَــرٍ يؤرِقُهَــا نَسِيـــــتُ رِثَاءَهــا

مَرِضَتْ بِحُبِّ الخَلْق حتَّى عَانَــقَتْ مَحْبُوبَهَا الأسْمَى فَكَانَ شِفَاءَهـــــا

فالشّاعر يرى أنَّ الحُبَّ والتَّماهيَ في الذَّات العليَّة المُتجليَّة في الموجودات هو مصدر النُّور الذي بدَّد الظَّلام، وبلسم الشفاء الذي أبرأ الأسقام، ومنبع الاستقامة الَّتِي هي أساس العزَّة والكبرياء، والدَّاعي إلى اللين والرّفق، والتأمُل في جمال وحُسن المخلوقات، فهو السبيل للوصول إلى المحبوب الأسمى .

كذلك لا يخفى أنَّ التأمُّلَ للمظاهر الكونيَّة الَّتِي أودعها الله في الطَّبيعة يبثُّ الرَّاحة والطمأنينة في خلجات النَّفس، ويثبت فيها الثقة واليقين بالله

---

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩ .

ـــ تعالى ـــ .

ولعلَّ من المعروف أنَّ التأملَ من الأمور العقلية التي يبحث فيها العقل عن اليقين والإقناع والراحة، ولقد وجد التأمل في الطبيعة فضاءً رحبًا يسبح ويغوص فيه؛ ليُعَمِّق اليقين، ويبثُّ الراحة والطمأنينة، وحين ينشد الشاعر من وراء إبداعه الإقناع والتأثر تكون الأمور المختصة بالعقيدة، ودلائل الوحدانية عامل مهم من عوامل القدرة الإبداعية عند الشاعر.

ولقد صوَّر (محمدالحَلَوِيّ) عجائب قدرة الله ـــ تعالى ـــ في سلخ فصول السّنة بعضها من بعض، وفوائد ذلك؛ ليرسخ في النفوس الإيمان واليقين بقدرة الله تعالى وعظمته، فقال في الرَّبيع من بحر[البسيط]: [1]

ولَّى الشِّتاء وفِي جَوفِ الثَّـرى نُطَفٌ ... جَنِينُهـا بالرَّبيع اليـوْمَ يَكْتَمِلُ
تَعَهَّدَتْـهُ غَـوادِي السُحبِ هَامِيـةً ... حتَّى اسْتَوى مِنْهُ سَاقٌ نَاعِمٌ خَضِلُ
وافْتَـرَّ مَبْسَمهُ المَـوْرُودُ عَنْ فَلَقٍ ... واخْتَالَ بَيْنَ السَّواقي عِطْرُهُ الجَذِلُ
وضَمَّخَ الأرْضَ طِيبًا، فالوُجُـودَ به ... وقَـدْ تَضَـوعَ فِي أسْحَـارِهِ ثَمِلُ
وقَبَّلَ النَّحْلُ ـ مُشْتاقًـا ـ مرَاشِفَهُ ... فَكُلّ مـا في خَلَايـا شُهْـدِهِ قُبلُ!

فـــــ(الحَلَوِيّ) رسم صورةً رائعةً للرَّبيع الذي هو مصدرُ النَّماءِ، ورمزُ التفاؤلِ والتجديد، وموئلُ التأمُلِ والتفكير، وكأنَّ قلبَهُ قد استحال إلى جهاز استقبال لِمَا تبثُّه الطَّبيعة من روائعَ ومفاتنَ، لتتحرك بعد ذلك قوة العقل بالتأمُّل والتدبُّر والاستدعاء، وقوة العاطفة بالتأثر والاستحياء، فيرسمه في لوحةٍ شعريَّةٍ تنبض بالحرارة والانفعال، والجذب والتأثير.

كذلك من روائع التأمُّل الذي تمخَّضَ عنه الإقناع والتأثير عِنْد(الحَلَوِيّ)

([1]) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٠٠ .

الاعتراف بفضل الله ـــ تعالى ـــ والتذكير ببعض نعمه الَّتِي أودعها في الطَّبيعة، فيقول من بحر[الكامل]: [1]

يُزْجِي السَّحَابَ لِمَنْ يشَاءُ مَتَي يَشَا مَاء تُطِلُّ مِنَ الغُصُونِ ثِمَارُهُ
وَمَرَاتِعٌ مِـلءَ العُيُـــونِ نَضَـــارةً سَارَ النَّسِيمُ بِهَا فَطَابَ مَسارُهُ
أنَّى التَفَتّ رأيتَ فَيْضًـا مِنْ سَنىً وَسَرَيْتَ في كَـوْنٍ زَهَتْ أقْمارُهُ
وَسَمِعْتَ مُوسِيقى الطَّبيعة هَمْسَةً وَخَرِيـــــرَ نَهْـرٍ صَاخِبٍ تَيَّارُهُ
وَغِنَاء شَحْرُورٍ وسَجعَ حمامـــةٍ ونَدِيـــمَ حَيٍ أطْرَبتْ أسْمارُهُ[2]

فالطَّبيعة بمظاهرها المُلْفِتة جعلت الشّاعر في حالة هيام دائم، وشغلت عقله بالتَّدبُّر في أسرارها، والغوص وراء أعماقها؛ ليُحقِّقَ اليقين في تجربته، ويؤسر عقل المتلقي ووجدانه .

ومن مظاهر الطَّبيعة الَّتِي كان لها وقعها الطيِّبُ في نفس(الحَلَوِيّ)، ودعته إلى التأمُّل في المظاهر الكونيَّة الَّتِي تُدلِّلُ على عَظَمة الخالق ـــــ سبحانه وتعالى ـــــ وتبثُّ في نفس السامع الراحة واليقين فصل الرَّبيع ففيه تدُبُّ الحياة في النباتات والأشجار، فمن المظاهر الَّتِي يُخلِّفُها الرَّبيع على الأرض تلك الرِّياض الَّتِي تنتشر فيها الأزهار، وتُغنِّي الأطيار[3]، يقول

([1])(ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص٩٧ .

([2]) الـشـحرور: هو طائر أسود فوق العصفور يصدر أصواتاً مطربة. ينظر: الدميري : (حياة الحيوان الكبرى)،دار الكتب العلمية،ط٢، ج٢ بيروت ١٤٢٤ هـ ، ص٦٩.

([1]) ينظر: د. رشيد علي حسن:(شعر الطَّبيعة في العصر العباسي الثاني)، دار عمـان، ط١، عمان، الأردن١٩٨٨م، ص٤٨.

(الحَلَوِيّ) من بحر [الكامل]: [1]

وافى الرَّبِيـــع وأشـــرقت أنـــــوارُهُ وافتر في خضر الربى نُـــوَّارُهُ
وشـــــدت بلابِلُـــــهُ على أفنانِهـــا فتراقصت من شدوها أشجـــارُهُ
وسرى عبيرُ الزهـــر بـــين خمائـــلٍ نشوى فطابتْ بالشـــــذا أسحـــارهُ
وجـــــرت جداولُهُ لُجينًا ذاب فيـــ ـــهِ مع الأصيلِ جُمانُهُ ونُضارُهُ
ومباسِمُ الأزْهـــارِ يغشاها النـــدى سِحرًا وترْشُـــفُ تـــغرَها أطيـــارُهُ
حام الفِـــراشُ على كؤوسِ رَحِيقها ثمَلًا فـــزاد أُوامُـــــــهُ وخُمَارُهُ
وعلَى الرَّوابي الخُضْرِ بين شيـــاهِـــهِ رَاعٍ يُغَنِّي للهـــــوى مِزْمـــارُهُ
يشـــــدو لليـــلاهُ لواعج حُبـــــــهِ لحنًـــا تُدَغْـــــذِعُ قلبهـــا أوتارُه
تـــروي البـــطـــاحُ لُحُـــونَـــهُ وتظل خالدةً بهـــــا أشعـــــارُهُ
جاد الغمامُ على الثرى بفيـــــوضِهِ فاخضر سُنْبُـــلُهُ ورف عَـــرارُهُ
وكَسَـــتْ رُبـــاهُ مطارفًـــا مَوشِـــيـــةً وزرَابيًا مبثُوثـــــــــةً أمطـــارُهُ
رَاقَ النَّسِيمُ فهَبَّ يَسْكُبُ عطـــرهُ متجولًا عـــــبـــر الرُّبـــــى عطارهُ
وأشاع في الدُّنيـــا بشائـــرَ بهجـــةٍ مُخضـــرةٍ طفحت بهـــــا أنهـــارهُ
من بعد ما اكتسح الشِّتاء جمالها واجتاح فتنـــــةَ أرضهـــــا إعصارهُ
أبلى محاسنها الشِّتـــا وأحالهـــــا شمطاء تكسو جسمها أمطـــــــارهُ
عقـــد الكرى أجفانهـــا حتَّى إذا وافى الرَّبِيع وأينعت أزهـــــــارهُ
دَبَتْ حَاةٌ لم تَكُنْ في كائـــنٍ ورأيت إبداعًـــــا سمت أطـــــوارُهُ

لقد صوَّر الشّاعرُ صورةً بديعةً للرَّبيع بكل مظاهره وأشكاله الجذَّابة، وقد بَدَّلَ الحياة وألبسها رونقًا جديدًا" فأيُّ خيالٍ أعمق؟ وأيُّ نظرٍ أبعد؟

---

(٢) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ٩٥، ٩٦.

أليس من بُعْدِ النظر وعمق الخيال أن يحس الشّاعر بتلك الدنيا الخيالية الرائعة الَّتِي يُخلِّفها الرَّبِيع، ويكشف عنها الوجود "[١].

فببراعة مــَنْ انشغل عقله في إبداع ربِّه الذي تَجلَّى في الآيات الكونيَّة جذب (الحَلَوِيّ) عقول المستمعين، وحرَّك مشاعرهم وهزَّ قلوبهم، فلقد توجه" بكل مواهبه إلى الطَّبيعة؛ ليكشفَ عن أسرارها، ويستنطقها لتبوحَ بسرِّ جمالها المبثوث في أنحاء الكون"[٢].

ولعلَّ التأمُّلَ وما ينتجُ عنه من صُورٍ شعريِّةٍ موظَّفة بالمظاهر الطَّبيعيَّة يترك أثرًا عميقًا في نفس القرَّاء، ويؤثر في سلوك المُتَلَقِّين؛ لأنَّ الشّعَر ذو أثر إيجابي في حياة الفرد والمجتمع، فهو يحمل رسالةَ الشّاعر للسَّامع ، ويسعى إلى توصيلها في رشاقة فنيَّةٍ عاليةٍ .

فإذا كان بناءُ الصُّورة الفنِّيَّة وتشكيلُها من أهم العلامات على إبداع الشّاعر وتفوُّقِه في إقناع المتلقين، وأحد ركائز الحكم على ذوقه الفنِّي، فإنَّ نبعَ جمالِ الصُّورة وروعتها هو عُمق خيال الشّاعر ونظرته في الكون ومظاهره، ومدى قدرته على الانتقاء والتشكيل، فالصُّورة" هي وعاء الأديب الذي ينقل به مشاعره وأحاسيسه".[٣]

---

(١) أبو القاسم الشابي:(الخيال الشّعري عِنْد العرب)، كلمات عربية للترجمة والنشــر، القاهرة،(بدون تاريخ)، ص٢٥.

(٢) د. سالم عبدالرازق سليمان:(ترسُل الشُّعراء في الأندلس)، دار المعرفة الجامعيــة، القاهرة٢٠٠٨م، ص١١١.

(١) إبراهيم الغنيم:(الصُّورة الفنِّية في الشّــعر العربــي)، الشــركة العربيــة للنشــر والتوزيع،ط١، القاهرة (بدون تاريخ)، ص ١٨ .

وبما أنَّ الطَّبيعةَ هي أوسع أبواب التَّعبير الجمالي الإبداعي لدى الشُّعراء سَرَحَ (الحَلَوِيّ) بخياله يتأمَّلُ فيما وراء أجوائها النقيَّة من مشاهد الجذب، وعناصر تفجير الطّاقات الخياليَّة المُتجددة .

فإذا كان التأمُّل قد أثرَى النَّصَّ الشّعريَّ عِنْد(الحَلَوِيّ) وجعله زاخرًا بالمظاهر الطَّبيعيَّة، فإنَّ عنصرَ الخيال أثارَ في المُتَلَقِّي حرارة الانفعال، والتَّماهي مع النَّص الذي يستمع إليه، فينقله إلى عالم غير الواقع الذي يحياه؛ لأنَّ" القُوَّةَ المُتخيَّلة تُسيطر على القوة النزوعيَّة عِنْد الإنسان، فإذا استُثيرَ التخيُّل انفعلت القوة النزوعية، وتحركت في الاتجاه الذي تفرضه حركة التخيل؛ لأنَّ القوةَ النُّزوعية تخدم المتخيلة وتستجيب لها".[١]

ونستنجُ من ذلك أنَّ الشّاعرَ له عوالم غير مرئيةٍ يُحلِّقُ بفكره في فضاءاتها، ويَسْبحُ بخياله في أعماقها؛ ليُشكِّلَ صُوَرَه، ويُعبِّرَ عن تجربته، فيعيشَ المُتَلَقِّي في فضائه الرَّحب، ويسعد بإبداعه ومغزاه .

فالتَّأمُّل الذي يُولِّد التخييل، ويُشخِّص المظاهر الطَّبيعيَّة يُضفي هالة من الجدة والتشويق لدى السامع، ويُبْعِدُ عن تصوراته الرّتابة والملل، ويجعلُ أُنس النَّفس به أوفر، وارتياحها له أكمل مما يتيح لها القبول والإقناع والتأثير .

---

(٢) د. جابر عصفور:(مفهوم الشّعر)، دار الثقافة، القاهرة١٩٨٧م، ص١٩٦ .

المبحث الثاني

النَّزعة الوطنيَّة والقوميَّة والحنين للوطن وشِدَّة الاعتزاز به

الوطن بكل ما يحمله من معانٍ وَقِيَمٍ سامية يُمثِّل عصب الحياة بالنسبة للإنسان، بل ورُبَّما لا نبالغ إذا قلنا: لكل الكائنات الحيَّة؛ لأنَّه محل النشأة والسَّكن، وموئل الراحة والاطمئنان؛ لذا كانت ظاهرة الوطنية، وحب الولاء والانتماء محل نظر الشعراء والأدباء يستلهمونها في الإقناع والتأثير.

فحب الوطن فِطْرَةٌ رَبَّانِيَّةٌ فُطِرَ الناسُ عليها؛ لتعمير الكون، وكما قال سيدنا (عمر بن الخطَّاب):" ـــ رضي الله عنه ـــ لولا حب الوطن لخرب بلد السوء"[1].

ولقد رسَّخَ النبيُّ ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ حب الوطن في نفوس البشر، وذلك في حادث الهجرة عِنْدما أخرجه قومه فنظرَ إلى مكة المكرمة وقال: "علمت أنك خير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله ـــ عز وجل ـــ ولولا أنَّ أهلك أخرجوني منك ما خرجت " [2].

والإنسان منذ نشأته ارتبط بالوطن وما يحويه من مظاهر طبيعية تلائم خلقته، وتولدت بينهما علاقة حب وعشق كبيرين، فقد أحس أنَّ هذا الوطن جزء لا يتجزأ من حياته، وهذا أمر طبعي؛ لأنَّ الوطن يعني الطَّبيعة الَّتِي

([1]) الخوارزمي:(الأمثال المولدة)، مطبعة المجتمع الثقافي، أبوظبي ١٤٣٤ه، ص١٢٥.

([2]) الإمام أحمد بن حنبل:(مسند الإمام أحمد بن حنبل)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ج٣١، ط١، حديث رقم ١٨٧١٧، القاهرة٢٠٠١م، ص١٣.

ارتبطت بصورة بيئته الَّتِي ولد فيها، ونشأ وترعرع بين أحضانها، وهذا الوطن هو أول لوحة تشكيلية فتح عينه عليها، فلا غَرْوَ أن يمتزج حب الطَّبيعة والوطن بمشاعر الشّاعر ووجدانه .

وحبُّ الوطن من أهم الموضوعات الَّتِي تجذب المتلقي وتؤسر عقله وقلبه؛ لذا كان الوازع الوجداني تجاه الوطن من الأمور حركت قريحة (مُحمد الحَلَوِيّ) وتمخَّضَ عن ذلك نتاجًا جذّابًا يشع حرارةً وشغفًا بوطنه وقومه؛ وذلك لمعايشته سطو الاستعمار، وتذوقه مرارة التسلط والسجن والتعذيب، وإحساسه المرير بالظلم والطغيان الذي يتعرض له هو، وأبناء الوطن .

والشّعر الوطني من الموضوعات الَّتِي تجد لها ميدانًا فسيحًا من القبول والإقناع في ظل الاستعمار وفترة الحماية؛ لما ينشده من استثارة الهِمَم، وتقوية الرغبة في استعادة الحرية والأمان، وكف الظلم والطغيان، والانعتاق من خناق الاستعمار؛ لذلك غلب هذا اللون عِنْد كثير من الشّعراء، فاتخذوا من الشّعر الوطني وسيلة لإيقاظ الهمم، وبث روح الدفاع والمواطنة في نفوس أبناء الوطن .

وبِحُكْم الفطرة البَشريَّة كان الوطن هو المحبوب الأول عِنْد(مُحمد الحَلَوِيّ)، بل رُبَّما عِنْد غالبية الشّعراء، بل وكما ذكرنا هذه الفطرة موجودة حتى عِنْد الحيوان .[1]

ولقد تغنَّى(الحَلَوِيّ) بوطنه، وأشاد بأمجاده وبطولاته، وفضله على

([1]) ينظر: ص ٢١ من هذا البحث .

أبنائه، فقال من بحر[الخفيف]: [1]

يـــا بِلاَدِي يَـــا شَامَـــةَ الأَوْطَانِ عِيـــــدُكِ اليَوْمَ غُرَّةَ الأَزْمَـــــانِ
زَغْـــرَدَ الطَيرُ فِي خَمَائِلِكِ الخُضْـــ ـــرِ نَشِيـــــــدًا مُعَطَرَ الأَلْحَانِ
فَإِذَّا الكَـــــوْنُ مِهْرَجَـــانٌ وأَعْـــرَا سٌ وذِكْرَى نِهَايَـــــةَ العُدْوانِ!
هَبَّ شَعْبِي يُحَطِّمُ القَيْـــدَ عَنْ أَيْـــ ـــــدِي بَنِيهِ فِي ثَوْرَةَ البُـــرْكَانِ
نَفْحَةُ الطُهْـــرِ مِنْ سُلاَلَةِ أَصْـــلَا بٍ شَذَاهَا يَفُـــــــوحُ مِنْ عَدْنَانِ
دَوْحَـــــةٌ لـــــمْ تَـــزَلْ تُظَلِلُ شَعْبًـــــا عَرَبِيًّـــــا بِيَـــانِـــعَ الأَغْصانِ
كَالثُرَيّا مُلُوكَهَـــا الصَّيْدُ فِي أُفـــــُـــ ـــــــق المَعَالِي وَهَاجَةُ اللَّمعَانِ
رَضَعُوا فِي الصَّحَـــرَاءِ خَيْـــرَ لِبَانٍ بَيْنَ خُضْرِ النَّخِـــيلِ والكُثْبَـــــانِ
فَجَّـــرَ المَاءَ فِي الحُقُولِ سِيـــولًا أَخْـــــرَجَتْ كُلَّ بَرْعَـــــمٍ رِيَّـــــانِ
وَغَـــــــزَا بالسُّـــدُودِ كُلَّ جَـــدِيـــبٍ ممحَـــلٍ فاستَحَـــــالَ كَالبُسْتَانِ
غَيْرَ أَنَّا لنْ نَزْرَعَ الشَّوْكَ فِي الرَّوْ ضِ مَكَـــــــانَ الوَرْدِ والرَّيْحانِ!

ومن ينظرفي الأبيات السابقة يجد الشاعر قد استهلَّ قصيدته بنداء حار لبلده، وشخَّصها وجعلها في أعلى مكانة من الأوطان، فبتغلبها على العدوان أصبح الكون في عيد، غردت الطيور، واخْضرَّت النباتات والأشجار، وتفتَّحت الأزهار ونشرت عطرها على كل الأرجاء، وما ذلك إلَّا بسواعد أبنائها الذين ثاروا كالبركان، فحطموا كل القيود، وطردوا المستعمر الغاشم، ثم يشيد بجهود ملك المغرب الذي دعَّمَ الشعب بالقُوَّة، وعمل على نمو وازدهار بلده، ومراعاة حقوق شعبها الأبيّ .

وعلى ما يبدو أنَّ تعلق الشّاعر، وحبه العميق لوطنه لا يغيب عن فكره

([1]) (ديوان مُحمد الحَلَويّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١٧٨، ١٧٩.

ووجدانه، حيث يوظَّف المظاهر الطَّبيعية الَّتِي يتمتَّعُ بها هذا الوطن في حبه وولائه ووفائه له .

فوظَّف(الطير) في فرحه وشَدْوِه؛ ليبيِّنَ مدى الحرية والطلاقة الَّتِي تمتع بها هذا الشعب بعد رفع الاحتلال، وقدرته على كسر شوكة الاستعمار، ووظَّف(البركان)؛ ليوضح قدر عزيمة وقوة الشعب في صدّ العدو، ووظَّف (الثُّريَّا)؛ ليبين مدى علو وارتفاع شأن الوطن في نفوس أبنائه، كما أنَّهُ وظَّف(الماء، والنخيل، والكثبان، والروض، والبستان، والورد، والريحان)؛ ليبين مدى ما تمتَّعَ به هذا الوطن بعد إزاحة غمة الاستعمار من مصادر خير ونماء .

كذلك من النماذج الَّتِي مزج فيها(الحَلَوِيّ) بين الطَّبيعة وحب الوطن؛ ليستثير الهمم ويوقظ الوجدان قوله من قصيدة:(مسيرة المجد) من بحر [الخفيف]: (١)

أرأيْتَ الجبـــالَ تـــرْكُضُ زَحْفًـــا وَالرِّيَاحَ الْهوْجَاءِ تَعْصِفُ عَصْفًـــا؟
هلْ رأيْتَ البِحـــارَ وهي غِضَابٌ تَتَحَدَّى وتَقـــْذِفُ المَـــوْجَ قَذْفـــا؟
إنها كالأحـــرارِ في مَـــوْكِبِ المـــجـــدِ يلبونَ داعي المجـــدَ صفـــا
بقلوبٍ إلى الأحَبـــَّةِ ظمـــــأى وحشـــودٍ إلى الشهـــــادةِ لهـــفَى
تتخطى كالسيـــلِ وهـــم حدودٌ وهي عزلاءُ لا تُعانـــق سَيْفـــــا
ومتي كانت الأُسُـــودُ تابُ الـــ ـــموتَ أو تتـــــركُ الطرائدَ خوفا ؟
زلزلوا الأرضَ تحت أقدامِ مدريـــــ ـــدٍ وكانت مسيرةُ المجدِ خسفـــا

فهو يشيد بوطنه وأمجاده، وقوة وشجاعة أبنائه، ويوظَّف مظاهر

---

(١) (ديوان مُحمد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١٥٧.

الطَّبيعة الَّتِي تدل على القوة والشجاعة والشموخ؛ ليعبر عن حبه لبلده، ويثير حفيظة أبنائها للدفاع عنها، والفخر بأمجادها وأبطالها، حيث استطاع من خلال هذا الحب أنْ يُصوِّرَ مظاهر الطَّبيعة في صورة أبطال وطنه البواسل، ويفخر بأمجاده وبطولاته .

فاستلهم شموخ (الجبال)، وعظمتها، وهيجان (البحار)، وقوتها، وعصف (الرياح) وشدتها، ووظَّفها في قوة وعزيمة وجبروت أبناء الوطن ضد العدو .

كما استلهم جرأة (السيل) وقوته، وشجاعة(الأُسُود)، وشدتهم، ووظَّفها في الشجاعة والجرأة الَّتِي تحلَّى بها الشعب في رد كيد الكائدين، وصد سطو المعتدين .

كذلك من بواعث الإبداع، وسائل الإقناع المؤثرة التي تدلل على حب الشّاعر لوطنه، ومزجه بروائع الطَّبيعة وعجائبها، مدح ملكه والإشادة به وبخصاله ومميزاته؛ وذلك لما يحمله هذا المدح من دلالات وطنية وسياسية تبث في النفوس إطاعة الخليفة، والولاء له ومساعدته على ما فيه الصلاح، يقول(الحَلَوِيّ) من بحر[البسيط]: [1]

أبا المَجَيدَيْنِ جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ شَعْبٍ أَصِيلٍ بِهُدَيِ اللهِ يَلْتَزِمُ
وَلَمْ تَزَلْ تَزْدَهِي فِيهِ صَنَائِعُكُمْ كَأَنَّها وهِيَ فِي أَرْجَائِهِ دِيَمُ
إِذَا تَأَوَّهَ مِنْ جُرْحٍ سَرَتْ لَهُ وَمَسَّ جَنْبَكَ مِنْ آلَامِهِ أَلَمُ!
كأَنَّما ابْنُ زِيَادٍ عَادَ ثَانِيَةً والسُّفُنُ فِي الرَّمَلِ لَا في البَحْرِ تَضْطَرِمُ
كأَنَّما كُنْتَ إِعْصَارًا أَطَاحَ بِهِم أَوْ صَيْحَةً فَوْقَهُمْ مِنْ هَوْلِها وَجِمُوا

([1]) (ديوان مُحمد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ٧٢، ٧٤، ٧٦.

وَانْجَابَ عَنْ أَرْضِنَا عَهْـدٌ عَصَـفتَ كَالفَجْـرِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهِ الظُّلَـمُ
سَـــــــألْتُ رَبِّي أنْ تَحْيَـا إلى زَمَنٍ تَـرَى زُهُـورَكَ فِيهِ وَهْيَ تَبْتَسِمُ
وَمَغْرِبِي جَنَّـــــــةٌ خَضْرَاءُ وارِفَـةٌ يَمُوتُ حَاسِـدَهَا غَيْظًا وَيَحْتَـدِمُ
وَأَنْتَ قَائِدُنَـــــا فِي كُلِّ مَلْحَمَـــــةٍ مَتَى رَأَتْكَ عَوَادِي الـدَّهْرِ تَنْهَزِمُ

لقد رأى (الحَلَوِيّ) في الخليفة الذي بصلاحه تصلح الرعية، مثلًا للوفاء والعزيمة والشجاعة، فهو يئن لأنين شعبه، ولا يرضى ظلمه وإهانته، ويدافع عن أمانه، ويحفظ حقوقه، وهو القائد في كل ملحمة، يقدم روحه فداءً وتضحيةً لوطنه الغالي، وما رأوه الأعداء إلَّا وقُذِفَ في قلوبهم الرعب وانهزموا.

ويُشخِّصُ الشّاعر العناصر الطَّبيعية الَّتِي توحي بالقوة والشجاعة، في وصف ممدوحه، ويشبهه بـــ(طارق بن زياد) [1] الذي غيَّر مجرى الحياة ليس في المغرب فحسب، وإنَّما في كافة بلاد الأندلس .

ومن شعر(الحَلَوِيّ) الوطني الذي يحمل عاطفة جياشة، تجود بأروع الكلمات، قصيدة:(بلادي) الَّتِي يبين فيها محاسن وطنه وجماله، ونبل أهله

([1]) هو طارق بن زياد(٥٠؟ ـــ ١٠٢؟هـ ٦٧٠؟ ـ ٧١١؟م) فاتح مسلم، وأحد أبرز القادة العسكريين في تاريخ العرب، كان مولى لموسى بن نصير، أمير إفريقيا في عهد الأمويين، وقد أسلم على يديه، وأرسله موسى لفتح بلاد الأندلس، عام ٧١١م، فاجتاز المضيق الذي عرف بعد باسمه،(مضيق جبل طارق)، واحتل قرطبة، وطليطلة، وأجزاء من جزيرة أيبريا، ينظر: منير البعلبكي:(معجم أعلام المورد..)، مرجع سابق،ص٢٧٤.

وحسن ولائه، والَّتِي يقول فيها من بحر[الخفيف]: (١)

أفأنْسَى على وُجُوهِ بَنِيكِ الـــــ ـــــغُـــرِّ سِيمـــا شَهَامـــة واعْتِـــدادِ
مُنْذُ هَامَتْ بِقُدْسِ حُبِّكَ رُوحِي وأضَـــاءت أنْـــوارُهُ في فُـــؤادِي
فـــإذا أنْتَ أعْظَـــمُ مَحْبـــوُ بٍ مُفْـــدي لِخَيـــــر موف وَفَادِي
يَا بِلَادِي يَا قُرَّةَ العَيْنِ يَا أغْلـ ـــى الأمَـــانِي يَا قِبـــلَةَ الـــوُرَّادِ
يَا عَرِينَ اللِيُوثِ يَا مَنْبِعَ النُبْـ ـــلِ وَمَهْـــدَ العَبَـــاقِـــرَ الأَمْجَادِ
يَا بِلَادِي هَوَاكِ يَنْسَابُ فِي قَلْـ ـــــبي انْسِيَابَ الدِّمَاءِ في الأَجْسَادِ
مِلْءُ قَلْبِي ومِلْءُ أَنْفَاسِي الوَلْـ ـــهَى وَمِلْءُ الفَضَـــاءِ والأبْعَـــادِ

يرى الشاعر أنَّ الشباب هم سواعد كل أمة، والدرع الواقي لكل وطن، فبهم تنهض الأمم والشعوب، وعليهم تعقد الآمال والأماني، فإذا تحلّوا بالصفات الحسنة تحققت آمال الأمة، وعم الأمن والأمان؛ لذلك يشيد(مُحمد الحَلَوِيّ) بشهامة ومروءة وشجاعة أبناء وطنه .

كذلك يَتَغَنَّى بمحاسن وجمال وطنه، ويعبر عن حبه وهيامه، وشدة تعلقه به، ويتجلى ذلك في ندائه الحار لوطنه، فهو قرة عينه، وبه تتحقق أمانيه وأحلامه، وهو حصن الأبطال، ومنبع الشهامة والكرامة والمروءة، ومهد الأمجاد والبطولات؛ لذا يسري حبَّه في شرايينه مسرى الدم، ويملك عليه حواسه وفكره .

ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ عِزةَ الوطن وحبه، والحنين والشوق له عند الاغتراب عنه من الأمور الوجدانية العظيمة الملازمة لكل البشر، بل ولكل

---

(٢) (ديوان الحَلَوِيّ: أنغـــام وأصـــداء)، دار الســـلمى، ط١،الـــدار البيضـــاء ١٩٦٥م. ص٢٨٥.

الكائنات ـــ كما سبق الإشارة إلى ذلك ـــ[1] وذلك بِحُكْم الفطرة الربّانية والنزوع الوجداني الذي قد يسيطر على عقل الإنسان ويملك عليه أحواله وأفعاله .

ومما يبدو أنَّ تعلُّقَ الشُّعراءِ ببلادهم، والشّوْقَ إليها، وإظهارَ الولاء لها كان من أهم دوافع ظهور شعر الحنين، ورواجه بكثرة في العصر الحديث .

ولعلَّ من البداهة أنَّ الإنسانَ إذا تعلَّق بشيء وانشغل به اندفع تلقائيًّا إلى التَّعبير عنه، وذَكر مآثره، وتغنَّى بمظاهره وأشكاله .

فالإنسان إذا اغترب عن بلده، أو نُفيَ منها أو حُرِمَ من رُؤيتها لسبب أو لآخر تشُدُّه نزعة الإعجاب والحنين إلى مراتع صباه في بيئته الَّتِي ولد فيها، وعلى أرضها نما وترعرع .

وهذا الشَّوْق يثير في نفس الإنسان بوجه عام والأدباء والشُّعراء على وجه الخصوص كوامن الذكريات الجميلة في بيئته الَّتِي ازدانت بالأشجار، وعبقت بالرّياحين والأزهار، وانتشت بالأطيار، وارتوت بالمياه العذبة، بالإضافة إلى نقاء الجو وصفاء السماء، وغير ذلك من المظاهر الَّتِي استلهمها الشُّعراء للتعبير عن شوقهم وحنينهم لبلادهم وبيئاتهم حتى يبثوا الإقناع بعواطفهم وما يدور في وجدانه، ويمرروا تجاربهم على المتلقي في وضوح ويسر، ويضمنوا لنتاجهم البقاء والمدارسة.

ولقد أكثر(مُحَمَّد الحَلَوِيّ) من شوقه وحنينه إلى مسقط رأسه(فاس) مع أنَّه رحل عنها إلى (تطوان) الَّتِي وفّرت له سُبل الراحة والطمأنينة، إلَّا أنَّ قلبه تعلق بالمكان الذي نشأ فيه، فأخذ يسترجع ذكرياته وتعلقه

([1]) ينظر: ص ٢١، ٢٢ من هذا البحث .

بأصحابه، ومسامراتهم على نهر سبو، ويستوحي مآثر(فاس) ومعالمها ومظاهر طبيعتها، ويترجم ذلك في شعر يأخذ بالألباب فيقول من بحر[الكامل]: (١)

لله فَــاسٌ ! في الرَّبيع ونهْــرُهــا (رَقْرَاقٌ) تَومِضُ بالسَّنا أحْجَارُهُ
يَجْرِي كما تَجْرِي الحَيــاةُ مُسَافرًا لا يَشْتَكي، أوْ تنْتَهي أسْفَــارُهُ!
وعلى الضِّفَافِ أرَائكٌ من سُنْدُسٍ ألْقَــتْ جَدَائلِهــا بهــا أبْكَــارُهُ
صُورُ الرَّبيع به رُؤىً شِعْــرِيَّــةً ومَــواكِبٌ حَلَفَتْ بِها أعْمَــارُهُ
شَوْقِي إلَيهِ ــ وإنْ نأيتُ ــ مُبْرِحٌ وبأعْيُنِي ــ مِثْلَ الجِنَانِ ــ دِيَارُهُ

ومن يمعنُ النظرَ في الأبيات السابقة يجدُ أنَّ الحنين والشَّوْق إلى الذكريات الجميلة هزَّ وجدان الشاعر وغَيَّرَ كيانه؛ لأنَّ هذه الذكريات الجميلة رُبَّما كانت سببًا في تفجير شاعريته، والإقناع بها، وتغنيه بالمظاهر الطَّبيعيَّة الَّتِي ملكت لُبَّهُ، ونشَّطت خلايا عقله، فجاد بأروع الجُمل، وأتمِّ العبارات التي ربما كانت سبيلًا فعالًا للجذب والإثارة .

ومما يُثير الانتباه في شعر (مُحَمَّد الحَلَوِيّ) توظيفه للمظاهر الطَّبيعيَّة في (فاس) للتعبير عن شوقه وحنينه، فالبُعد عنها زاد إحساسه إلهابًا وتأجُّجًا، وزاد نتاجه إقناعًا وتأثيرًا، فهو القائل على وزن بحر[البسيط]: (٢)

هَبّتْ نَسائــمٌ من فَــــــاسٍ تُذَكِّرُني رَبِيعَها بِسبــو والزَّرْعُ مُكْتَمِلٌ
تَبْــــدو سنَــابِلُهُ الخَضْرَاءُ مُرْهَقَةٌ كَأنَهَا حُبْلَيــــاتٌ آدَهَا الحَبــلُ!
مَرَابِعٌ لَمْ تَزَلْ في العَيْنِ خُضْرَتُهَا تَجْلو رَوَائِعَهَا الأسْحَارُ والأُصُلُ

---

(١) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص٩٨.
(١) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٠٢.

ما هَبَّ رِيــحُ صَبَــا إلَّا وَذَكّرَنِي رَبِيعَ فاسٍ وإخْوانًا بِها ارْتَحَلوا !

إنَّ من يتأمَّل الأبيات السالفة الذكر يجد أنَّ الشّاعر من شِدَّة شوقه وحنينه الغامر كُلَّمَا استنشق رائحةً ذكيَّةً تذكَّر نسائم (فاس)، فجوها المليء بالنسمات العطرة، وربيعها الذي كساها خضرة وجمالًا لم يغب عن قلب الشّاعر وعقله، بل إنَّ خُضْرَتَها وأشجارها لم تزل في العين، وكأنَّه يراها حقيقةً .

فالشّوق والحنين إلى (فاس) ملك عقل (الحَلَوِيّ) لدرجة تصوره كل منظر ومكان، وكأنَّه يعيشه بذاته وحسه لحظة تذكُّره، هذ ما صرح به في قوله من بحر[البسيط] : (١)

يا هَبَّةً مِنْ صَبَا فاسٍ ووادِيهَــا ذَكَّرْتِنِي الغُـــــر مِنْ أيَّامِ مَاضِيها

أنَا المشُــوقُ فَمَا تَشْدو مُطوَّقَةٌ إلَّا تَذَكَّرْتُ مِنْ شَــوْقِي مَغَانِيهـــا

ولا شَمِمتُ شَذَا زَهْـــرٍ فأنْعَشَنِي إلَّا تَــوَهْمتُــهُ رَيَّـــا رَوابِيهَا

ذَكَرْتُها فَذَكَرْتُ المَجْدَ مــؤتَلِقًــا والعِزَّ كالتَّاجِ فِي أعْلى نَواصِيهــا

فكل شئ في (فاس) يذكِّرُ الشّاعر بالماضي الجميل، فالماضي وإن كان قد انتهى وانقضى إلَّا أنَّه حمل بين طياته ما يدعو الشّاعر إلى التعبير عن مكامن وجدانه، ودَعَّمَ فنَّه بالحيوية والنشاط والتفاعل .

وكما أنَّ الرَّبِيعَ في موطن (الحَلَوِيّ) الأول يُعَدُّ من أزهى فصول السّنة، وظاهرة من ظواهر الشَّوْق والحنين، كذلك لكل فصل من الفصول مُميزاته الَّتِي تميزه، وكل فصل يَمُدُّ الذي بعده بالحيوية والجمال، هذا ما ينطق به

---

(٢) المصدر السابق، ص١٢٧.

لسانُ حال الشّاعر من خلال تعبير فاق الحُسن فقال من بحر[البسيط]: [١]

رَبِيعُ فــاسٍ فرَادِيـــسٌ مَبَاهِجُهــا هِيَ الوضَّاءَةُ فِي أسْمَى معَانِيــا
تَبْدُو السَّماءُ بِها زَرْقَاءَ ضَاحِكَةً كأنَّما البَحْــرُ يَجْــرِي في أعالِيها
لِكُلِ فَصْلٍ بِهَا طَعْــمٌ يُطَيِّبُــهُ وكُلُّ عِيدٍ بِهَــا حُسْـــنٌ يُواتِيهــا

فالشّاعر في أبياته السابقة تغنَّى بالرَّبيع، ونال حظًا وافرًا من شعره؛ لأنَّ الرَّبيع يُذَكِّرُهُ برَيعان شبابه أولًا، ويُشْبِعُ حنينه وشوقه لبلده ثانيًّا، فالرَّبيع من فصول السّنة المُعتدلة، حيث يستوي فيه اللَّيْل والنهار، وتصير سماؤه صافية تتيح للشّمس أنْ تبعثَ سراجَها إلى الأرض نهارًا، ويَعُمُّ ضوء القمر ليلًا، فتنبت الأرض النباتات، وتُورقُ الأشجار، وينتشرُ النسيم العطر في جميع الأنحاء يقول(الحَلَوِيّ) من بحر[الخفيف]: [٢]

ذَكِّرَانِي فَاسًا وأيَّامُها غُـــــــر رٌ وَضِيئَـــــاتٌ كالوُجُوهِ الحِسَانِ
وَرَبِيعًا بِها إذا حلَّ فِيهَـــــــــا أيْقَظَ الشّعرَ وَالهَوَى والمَثَانِي!

ولقد ظلَّتْ نزعة الشَّوْق والحنين لمسقط رأس (الحَلَوِيّ) مُلازمة له، آخذة عليه كل آفاقه، فأبدع في ظلالها كثيرًا من الأشعار المقنعة المُعبرة عن أصالته، وصدق تجربته .

ونستنج ممَّا سبق أنَّ حُبَّ الوطن والتَّغنِّي بأمجاده وبطولاته، والإشادة بأبطاله وقاداته كان شُغل(مُحمد الحَلَوِيّ) الشاغل، حيث استطاع من خلال هذا الحب المزج بين الوطن وعناصر الطَّبيعة المختلفة، فشخص مظاهر الطَّبيعة ليبرزَ الصُّورةَ الحسنةَ لوطنه، ويغرس في النَّشْء روح المواطنة،

---

(١) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٢٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٢٧.

وحب الولاء، كذلك استطاع من خلال ذلك بَثّ الإقناع والتأثير بتجربته ونتاجه.

كذلك يتبيّن ممَّا تقدَّمَ أنَّ الشَّوْق والحنين من بواعث الإقناع المُهمة في إبداع(الحَلَوِيّ)؛لأنه وجد فيه مرتعًا خصبًا لجذب أحاسيس المتلقي وتفكيره، فاستلهم من مظاهر الطَّبيعة ما يُعيد عليه ذكرياته الجميلة في(فاس) الَّتِي وإنْ غاب عنها جسدًا إلَّا أنَّها لم تغب عن ذاكرته وقلبه فهو القائل من بحر[البسيط]:[1]

تَرَكْتُ فاسًا وقَلْبِي ما يَزَالُ بِهَا رَهنًا وإنْ غَابَ عنْ جنَّاتِها الجَسَدُ
وَإنْ نأَيْتُ فإنَّي مِن هَوايَ بِهَا ومَن وفَائِـــي ذَاكَ الطَّائـــر الغَـــرِدُ!

(1) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص٢٠٣.

الفصل الثاني
براعة التّكْوين الفنّي والجمالي وَدِقّة الأداء

مدخل:

من المُسَلَّمِ به أنَّ الأعمالَ الأدبيَّةَ عامَّةً، والشعر على وجه الخصوص تحقق غايتها بجودة وحسن اختيار ألفاظها، ودقة وبراعة تراكيبها، وقدرة مبدعها على توظيف المهارة الفنية التي تمتع وتفيد القارئ والسامع، وتضمن لنتاجه جذب الوجدان، والعلوق بالأذهان، والاستمرار عبر الزمان.

فبالإضافة إلى أنَّ براعةَ التشكيل الموضوعي في النِّتاج الشّعري قد تُمثِّلُ بنيةً موضوعية تهدفُ إلى تجلية الموضوع وكشف أسراره وغوامضه، فالإبداع الفني ـــ أيضًا ـــــ يمثل بنيةً فنيَّةً وجماليَّةً تتركب من عناصر مؤتلفة يُدخلها الشّاعر بقُدرةٍ فنيَّةٍ وتَمكُّنٍ لُغَويٍّ في علاقات جديدة تتفاعل داخل السّياق لتُكمِّلَ الأثر الجمالي؛ لأنَّ " الأنظمةَ اللغويَّةَ ليست بذات وظيفةٍ جماليةٍ إلّا عن طريق علاقاتها المتبادلة حين يفسّر أحدها الآخر، ويدعم دوره؛ لأنَّ الفعل المُوجِد للنشاط اللغوي يوجه كل عنصر إلى موضعه من نظامه، كما يوجه كل نظام إلى علاقته بغيره مُحدِّدًا للسياق الشّعري وجهته نحو البناء الشّعري الكامل"[١]

ولا شكَّ أنَّ البنيةَ الجماليَّةَ تخضع لمؤثرات كثيرة ومتعددة، في مقدمتها مهارة الشّاعر الفنِّية وقدرته الإبداعيَّة على التَّوظِيف المُقْنِع، وذلك بما يطرحه على بِنَيةِ النِّتاج الشّعري من إضافات متوافقة مع رؤيته سواءً في

---

(١) عبدالمنعم تليمة: (مدخل إلى علم الجمال الأدبي)، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٢م، ص٩٩.

لغته، أو أسلوبه، أو توجهاته الرَّمْزِيِّة والخياليِّة، أو إيقاعاته المُوسيقيَّة المُعَبِّرة .

المبحث الأول

قُدْرَة الألفاظ والمعاني وسمات الأسلوب على الإقناع والتأثير

لا يخفى أنَّ بَراعةَ اختيار الألفاظ، وَجَوْدة سَبْكِها، ودِقَّة نَظْمِها علامة بارزة على شَاعريَّة الشاعر، ومن أبرز وسائل إقناع المتلقِّي بتجربته وما يبغي توصيله؛ لأنَّ الألفاظَ وما تحمله من معانٍ معبرةٍ تُعدُّ قلب التجربة الذي ينبض بالحياة والحركة في كل أجزائها فـــــ" الألفاظ ليست مجرد مصطلحات لنقل الأفكار، والمعاني، ولكنها أرواح تختزن في داخلها مشاعر، وإحساسات، وإيحاءات تجعلها قادرة على منح دلالات ، وفاعليات خاصة. (١)

لذا؛ ينبغي على الشاعر أنْ ينتقيَ من الألفاظ، والعبارات أقدرها على نقل الإحساس، وأحفلها بالظِّلال، والإيحاء، والتصوير حتى يستطيع أنْ يَنفُذَ إلى نفس قارئه، ويثير لديه إحساسًا مماثلًا، وينقل إليه تجربته التي عاناها.(٢)

ونظرًا لأهمية اختيار الألفاظ الشعرية، ودقة نظمها، وبراعة تآلفها، ودورها الفعال في الجذب، والإقناع والتأثير فقد اهتمَّ بها النقاد قديما،

---

(١) يُنظر: د. محمد زكي العشماوي: (قضايا النقد الأدبي المعاصر)، الهـيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م ص٢٤١ .

(٢) يُنظر: د. محمد الصادق عفيفي: (النقد التطبيقي والموازنات)، مطبعـة مؤسسـة الخانجي بمصر دون إشارة إلى تاريخ، ورقم الطبعة، ص١٨١.

وحديثا، ووضعوا لها العديد من المقاييس، والمعايير التي يجب الالتزام بها، حتى تؤدي دورها المنوط بها، ومن خلال بحثي عن وسائل الإقناع في شعر(محمد الحَلّوِيّ) وجدت أنَّ ألفاظَهُ اتَّسمتْ ــ غالبا ــ بالسهولة، والوضوح، والجلاء، والمواءمة لتجربته، ويتضح هذا من خلال الآتي:

١ــــ سهولة الألفاظ ووضوحها:

لمَّا كانت الألفاظُ الإطار الخارجي الذي يحمل بداخله أفكار الشاعر ومعانيه تحتَّم عليه مراعاة اختيارها، وسهولة مخارجها، ودقة توظيفها حتى تفي بمراده، وتصل إلى أعلى درجات الاقناع والجذب، فهي التي تُرشد، وتُصوِّر، وتُوحي، وتعزف لحنًا مُعيَّنًا تُسر له الأذُن، وتَطرب له العَيْن، ويرتاح له الذهن، وتدركه النفس. [١]

والمراد بسهولة الألفاظ كما حددها صاحب الوساطة النمط الأوسط المرتفع عن السوقي، النازل عن البدوي، الوحشي، ولا تعني الضعف والركاكة، فالضعف والركاكة في الألفاظ يهوي بالتجربة إلى الانحطاط، ويُشَتِّت فِكْر المتلقِّي.[٢]

ومن خلال قراءتي وبحثي في كوامن الإبداع، ومصادر الجذب والإقناع

---

(١) يُنظر: د. عز الدين منصور: (دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر)، مطبعة مؤسسة المعارف – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص٦٣ .

(٢) يُنظر: القاضي الجرجاني: (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص ٢٤

في شعر(مُحَمد الحَلَوِيّ) تبيَّن أنَّ لسهولة الألفاظ ووضوحها الأثر الفاعل في التأثير وأسْرِ الانتباه، والإقناع بما يدور في عقله ووجدانه، والذي ربما ساعده علي اختيار الألفاظ السهلة الواضحة المؤثرة البيئة التي تَربَّى فيها، والنشأة الثقافية التي نمَّت شاعريته، وبثَّتْ فيه حُبَّ المعرفة، وكيفيَّة الاختيار الصحيح لألفاظ الشعر، فهو القائل من بحر[الخفيف]:[١]

يَا بِلادي ولَيْسَ أَشْهى إلى نَفْـــ ـــسِي وأحْلَى مِنْ أنْ أُنَادِي بلادِي
أنَا إنْ فهت كُنْتِ أَول مَـا يَعْبـ ـــرُ لِسَانِي وَخَيْرُ مَا يَكُن اعْتِقَـادِي
أَتَرَانِي أَنْسَـاكِ لَحْظَـةَ عَيْـنٍ وَأنَـا مِنْ هـوَاكِ حلف سهَـادِ؟
أَفَأَنْسى وَفي رُبَاكِ مِنَ السِّحْـ ـــرِ فُنُـونٌ تَرْوِي النُّفُوسَ الصوَادِي؟
أَفَأَنْسى وَفِي رِياضِـــكِ أَلْوَا نٌ مِنَ الشّعْـرِ زَاهِيـاتٍ نَـــوَادِي؟
وَنَسِيم أَنْفَـاسُـه أرج الزّهْـ ـــرِ وَهَبـئاتـه ثـرى الأَجْـدَادِ

إنَّ من يتأمَّل الأبيات السابقة بما فيها من ألفاظ سهلة وعبارات مُوحيَة تُصَوِّر جمال البيئة الَّتِي نشأ فيها(مُحَمَّد الحَلَوِيّ)، فبدأها بالنِّداء التشخيصي لبلده ووطنه موظِّفًا ألفاظ المظاهر الطَّبيعيَّة المختلفة، وفي هذا دلالة على وطنيته، وحُبِّه الشديد لبيئته، وكيف لا يُعلن ولاءه لهذه البيئة وفيها نشأ، وبين أحضانها نَمَا وترعرع ؟ .

هكذا استطاع (الحَلَوِيّ) من خلال الألفاظ الواضحة السهلة إقناع السامع بشعوره تجاه وطنه وبيئته، كما أنَّه استطاع أن يُقيمَ جِسرًا من المودَّة والأُلفة والعلاقة الحميمة بينه وبين بيئته، حيث رصد رؤيته لمُحيطه وما يشمله من مظاهر على أثر التوظيف والاختيار الحسن للألفاظ، ولعلَّ ذلك

([١])(ديوان الحَلَوِيّ: أنغام وأصداء)، مصدر سابق، ص٢٨٥ .

طبعيٌّ في شاعرٍ يحاول إعادة تشكيل العناصر الخارجِيَّة في شعره انطلاقًا من إحساسه وتفاعلاته مع كل ما يدور حوله، فحين يلتقي ما هو مادي مع ما هو نفسي، ويتشابك البعدان في عملية إبداعِيّة مُتداخلة العناصر، فإنَّ براعةَ المبدع تَتَجلَّى في مدى قدرته على إيجاد نوع من التوافق النَّفْسِيَ بينه وبين العالم الخارجي . (١)

وإذا كانت البيئة صاحبة القِسْط الأوفر في بَعْث شاعريَّة(مُحَمَّد الحَلَوِيّ) وشحنِها بالألفاظ السهلة الواضحة الَّتِي برع في توظيفها حسب مُقتضى الحال، فإنَّ للثقافة الَّتِي ألم بها وتشبعت بها نفسه دورًا كبيرًا في دقة الاختيار وبراعة التنظيم، حيث كان مُحبًّا للعلم والعلماء مُنذ بدايته من مصدره الأول ـــ الكُتَّاب ـــ إلى حصوله على الإجازة العالية في اللغة والأدب من جامعة القرويِّين الَّتِي كانت ذات أثرٍ واضحٍ في حياته العلميَّة والأدبيَّة ومحركًا مؤثرًا في اتجاهاته الفنية والإبداعية .

فمن البداية كان(الحَلَوِيّ) مُحِبًّا للأدب، شغوفًا بتذوّق الشّعر مُعجبًا بأعلامه، ولا يدَّخِر جهدًا في دراسة الشّعر والارتواء من منابعه الأصلية، وكان ذلك ناتجًا عن رغبةٍ عارمةٍ، حيث كان في صِغَرِهِ يَنْظِمُ بعض الأبيات والقصائد الَّتِي كان يُلقيها في الحفلات والمُناسبات، وتلقى الرِّضا والقبول، وتكلل بالتأثير والإقناع الذي تنبه لأهميته، وسعى في تحقيقه في جُل نتاجه الأدبي والفني .

ولقد ألمَّ الشّاعر بجُلِّ ثقافته من جامعة القرويين الَّتِي كانت منارةً للعلْمِ

---

(١) ينظر: د. عز الدين إسماعيل:(التفسير النَّفْسِيَ للأدب)، دار العودة، بيروت١٩٦٣م، ص٦٤ .

ومنبعًا للعلماء، حيث تخرج فيها العديد من رجالات الفكر والأدب في المغرب العربي، وفيها يقول(الحَلَوِيّ) من بحر[الخفيف]:[١]

قِصَــةُ العِلْمِ والْبُطُــولَةِ في شَعْــ ـــبٍ عَرِيقٍ في العِلْــمِ شَهِم مَجِدِ
نَظَمَتْها يَــــدُ الحَيَــاةِ عُقُــودًا ثُمَّ حَــلّتْ بِهــنَّ أكْــــــرَمَ جِيــدِ
لوْ تَغَنَّى الزّمَانُ يَوْمًـــا لكانَتْ في رِكَابِ الزَمَانِ أحْلى نَشِيـــــدِ!
حَومَ الشّعر في سَمائِك نَشْوا نَ رَخِيــمَ الأنْغَـــامِ والتَغْرِيـــــــدِ
قابِسًا من سَناكِ أقْـــدَس لحْنٍ أنْتِ طَغْـــراؤهُ وبَيْتُ القَصِيــدِ!
فاسْلَمي للإسْلامِ حِصنًا وللضَّا دِ مَـــلاذًا وابْقِي لِعُمْــري مَدِيــدِ

فلقد كان لهذه الجامعة العريقة وقعها العظيم في نفس (مُحَمَّد الحَلَوِيّ) فهي الَّتِي أمدته بالثقافة والعلم الغزير.

ونتيجةً لما تقدَّم يتبيَّن أنَّ للبيئة والنشأة الثقافية عظيمَ الأثر في اختيار الألفاظ السهلة الملائمة لموضوع القصيدة، والمؤثرة بالإيجاب على نفس المتلقي من حيث الجذب والإقناع والتأثير عِنْد(مُحَمَّد الحَلَوِيّ)، بل إنَّ البيئةَ تُعَدُّ رافدًا من روافد الإبداع الأدبي عِنْده، وأحد أهم دوافع تكوين ألفاظه والتَّعبير عن خلجاته القلبيَّة .

٢ ــ دقة الألفاظ وملاءمتها للمعنى وأثر ذلك في الإقناع بإبداعه.

إنَّ دِقَّةَّ الألفاظ ومناسبتها للمعنى من أهم العلامات على مهارة الشاعر الإبداعية، كما أنها من أهم دوافع الإقناع في التجربة الشعرية فضلًا عن إنها من أهم أسس الجذب والتأثير لدى القارئ والمستمع، فلا بد " أن يختار

([١])(ديوان الحَلَوِيّ: أنغام وأصداء)، مصدر سابق، ص٨، ٩ .

الشاعر من الكلمات أدقها في أداء المعنى الَّذي يجول في نفسه"[١]

وعليه فالألفاظ إن لم تكن دقيقة الاختيار بارعة التنظيم والتوظيف لا تؤدي الدور المنوط بها وهو الاقناع والتأثير في المتلقي، وفهمه الصحيح لتجربة الشاعر؛ لذا " يجب أن تكون الكلمات من الدقة بحيث تكون صَدًى صادقا لما تحكي من صوت، أو تؤدى من معنى ولون"[٢]

ومن الأمور التي توضح دقة الألفاظ وحسن اختيارها مناسبتها لأفكار الشاعر فإن كانت مشاكلة للمعنى، ومتناسقة، ومتوائمة مع الغرض أصبحت من الألفاظ الدقيقة المؤثرة؛ لأنَّ " أحسَنُ الشَّعْر مَا يُوضَعُ فِيهِ كلّ كَلِمَةٍ مَوْضِعَهَا حَتَّى تُطابِقَ المَعْنَىَ الَّذِي أرِيدَتْ لَهُ" [٣]

والشاعر الماهر هو الذي يلائم بين موضوعه وبين ألفاظه حتى يسهل فهم مراده، ويُقنع المتلقي بتجربته فـــــــــ" ائتلاف اللفظ مع المعنى أن تكون الألفاظ موافقةً للمعاني، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، وتختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللينة، للغزل

---

(١) د. أحمد بدوي:(أسس النقد الأدبي عِنْد العرب) ، دار نهضة مصر، ط٦، القـــاهرة ٢٠٠٤م، ص ٤١٧ .

(٢)أحمد الشايب: (الأسلوب)، مطبعة مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية عشرة ، ٢٠٠٣م ص ١٠٥ .

(٣) ابن طباطباالعلوي:(عيار الشعر) ، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المـــانع ، مطبعـــة مكتبة الخانجي القاهرة، ص ٢١٥.

والمدح"[١]

ومن ينظر في شعر(محمد الحَلَوِيّ) يجد أنَّه كان دقيقًا في اختيار ألفاظه مراعيًّا مناسبتها لموضوعه، مع وعيّه بما يقنع المتلقي وجذب انتباهه، ويثير فيه متعة اللذة الفنية الابداعية بالتجربة الشعرية، فعل سبيل المثال في تصويره لطبيعة بلاده وما تحويه من مناظر خلّابة مغرية يختار من الألفاظ ما يلائم ذلك فيثر الانتباه نحو هذه المناظر الجميلة، ويؤسر خيال السامع فيعيش بخياله هذا الجَوّ الجميـــل وكأنه حقيقــة، فتراه يقول من بحر [الكامل]:[٢]

وافى الرَّبِيع وأشــرقت أنــوارُهُ وافتــر في خضر الربى نُــوَّارُهُ
وشــدت بلابِلُهُ على أفنانِهـــا فتراقصت من شدوهــا أشجــارُهُ
وسرى عبيرُ الزهر بين خمائــلٍ نشوى فطابتْ بالشذا أسحـــارهُ
وجرت جداولُهُ لُجينًا ذاب فيـــ ــهِ مع الأصيلِ جُمانُــهُ ونُضارُهُ
ومباسِمُ الأزْهارِ يغشاها النـــدى سِحرًا وترْشُــفُ تـــغرَها أطيارُهُ
حام الفِراشُ على كؤوسِ رَحِيقها ثمَلًا فــزاد أُوامُـــــهُ وخُمَارُهُ
وعَلَى الرَّوابي الخُضْــر بين شياهِهِ رَاعٍ يُغَنِّي للهـــوى مــزْمــارُهُ
يشـــدو لليــلاهُ لواعج حُبــهِ لحنًــا تُدَغْــذِعُ قلبهـــا أوتــارُه
تــروي البــطــَاحُ لُحُــونَـــهُ وتظل خــالدةً بهــا أشعـــــارُهُ

---

(١)أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: (جــواهر البلاغــة فــي المعــاني والبيــان والبديع)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي – مطبعة المكتبة العصــرية– بيروت ص ٣١٦.

(١) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ٩٥، ٩٦.

جاد الغمامُ على الثرى بفيـــوضِهِ فاخضر سُنْبُـلُهُ ورف عَـــرارُهُ
وكَسَـــتْ رُبـــاهُ مطارفًا مَوشِيةً وزرَابيًا مبثُوثـــــةً أمطـــارُهُ
رَاقَ النَّسِيمُ فهَبَّ يَسْكُبُ عطـرهُ متجولًا عـبر الرُّبـى عطـــــارهُ
وأشاع في الدُّنيـا بشائرَ بهجـةٍ مُخضرةٍ طفحت بهـا أنهـــــارهُ
من بعد ما اكتسح الشِّتاء جمالها واجتاح فتنـــةَ أرضها إعصـارهُ
أبلى محاسنها الشِّتـا وأحالهـــا شمطاء تكسو جسمها أمطـارهُ
عقـد الكرى أجفانهـا حتَّى إذا وافى الرَّبِيع وأينعت أزهـــــارهُ
دَبَتْ حَيـاةٌ لم تَكُنْ في كائنٍ ورأيت إبداعًا سمت أطـــــوارُهُ

لقد صوَّر الشّاعرُ صورةً بديعةً للرَّبيع بكل مظاهره وأشكاله الجذَّابة، وقد بَدَّلَ الحياة وألبسها رونقًا جديدًا" فأيُّ خيالٍ أعمق؟ وأيُّ نظرٍ أبعد؟ أليس من بُعْدِ النظر وعُمْق الخيال أنْ يَحُسَّ الشّاعر بتلك الدنيا الخيالية الرائعة الَّتِي يُخلِّفها الرَّبِيع، ويكشف عنها الوجود "[1].

والناظر المُدقِّق في الأبيات يلاحظ مهارة الشاعر الإبداعية حيث استطاع بخبرته الفنية العالية الملاءمة بين الألفاظ والمعاني ومعايشة المتلقي في نتاجه بعقله ووجدانه، فالألفاظ(الربيع، الأزهار، الرُّبى، الغمام، النسيم، الشتاء، السنابل، أينعت، يسكب، ترشف) كلها ألفاظ سهلة دقيقة تُناسِب المعنى المراد من الشاعر ألا وهو معايشة المستمع بخياله في طبيعة بلاده الخلابة، وما تحويه من مناظر جملة وجو بديع .

أيضًا من نماذج دقة الألفاظ ومناسبتها للمعاني قول الحلوِيّ في الشعر

([1]) أبو القاسم الشابي:(الخيال الشّعري عِنْد العرب)، كلمات عربية للترجمة والنشـر، القاهرة،(بدون تاريخ)، ص٢٥.

الدِّيني من بحر[الكامل]: [١]

لَنْ يُرْضِيَ الإسْلَامَ مِنْ أَقْــوَالِكُمْ إلَّا سُلُــوكٌ لَيْسَ فِيــهِ تَشَــدُّدُ
الصَّحْوُ مِنَّــا في انْتِهَاجِ سَبِيلِهِ وَالصَدِّ عَمَّــنْ أَعْرَضُوا وَتَمَــرَّدُوا
الصَّحْوُ في إحْيَــاءِ شِرْعَتِهِ الَّتِي بِحَلَالِهــا وَحَرَامِهَــــا نَتَعَبَّــدُ
آيَاتُــــهُ كَالشَّمس فِي كَبِدِ السَّما مَــا ضَرَّهَا أَنْ لا يَرَاهَا أَرْمَــــدُ!

فالألفاظ(سلوك، الصحو، الصد، شرعته، حلالها، حرامها) تناسب المعنى الذي يريده الشاعر وهو اتباع الإسلام، والتحلي بمبادئ وأخلاقه، والابتعاد عما نهى وحرم.

وهكذا جاءت ألفاظ الشاعر متلاحمة مع نَفْسيَّته وغَيرتِه على وطنه ودينه تلك الغيرة التي أسهمت بقدر كبير في إقناع المتلقي وجذب مشاعره متناسبة مع أفكاره وعواطفه، وهذا ما منحها امتياز السريان في أعماق المتلقِّي وأسْرِ عقله وتفكيره .

أمَّا عن أسلوب الشاعر(محمد الحَلَوِيّ) فقد تنوَّعَ بين السهولة واللِّين، والجزالة والقُوَّة حسب ما تقتضيه التجربة وتفترضه الأفكار، أيضًا تنوع أسلوبه بين الخبر والإنشاء على النحو التالي:

١ ـــ الأسلوب الخبري:

الخبر هو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته[٢]، والأسلوب الخبري من الأساليب البلاغية الَّتِي تحمل قيمةً أدبيَّةً وسمةً إبداعيَّةً وفنيَّةً بَالِغةً، فهو

---

(١) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١٦ .

(٢) ينظر: أكرم ضياء العمري: (دروس في البلاغة العربية)، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت لبنان١٩٩٢م، ص٩٩.

يمنح النَّص حيوية التنويع وبراعة التوظيف، ويزيل الرتابة والملل من القارئ والسّامع، ويمده بقسط وافر من الإقناع والجذب .

وقد زخَرَ شعرُ (الحَلَويّ) بالأسلوب الخبري الذي يَحْمِلُ المعنَى علَى الصدق العاطفي والوجداني، ويَحْمِلُ النَّظمَ على البراعة والدِّقة، فأبدع تشكيلًا شعريًّا مفعمًا بالعناصر الطبيعيَّة الَّتِي تُوحي بالرَّوعة والجمال الذي يبث الإقناع والتأثير، ومن النماذج على ذلك قوله من بحر [الكامل]: [1]

إنِّي شَمَمْتُ مِنْ(العَرِيفِ) عَبِيرًا وَذَكَرْتُ فِيه حَضَارَةً وَمَصِيـرَا
هَبَّـتْ عَلَيّ نَسَائِـمٌ مَخْمُورَةٌ فَوَجَدْتُنِي ثَمِلًا بِهَا مَخْمُـورَا
وَلَمَحْتُ خَلْفَ الْعُـدْوَتَيْنِ مَعَالِمًا وَرَأَيْتُ ثَمَّ مَعَـاقِلًا وَثُغُـورَا
وَذَكَرْتُ فَـرْدُوسي الفَقِيدُ وَأُمّتِي فِيهِ وَطَارِقَ فَتْحِهِ المَنْصُورَا
وَأَجَلْتُ طَرْفِي فِي قُصُـورِهِمِ الَّتِي شَادُوا رَوَائِعَهَا فَلُحِنَ قُبُورَا
فَتَحَتْ لِصَقْرٍ وَافِـدٍ أَبْوَابَهَـا وَحَبَتْهُ جَنَّتَهَا فَعَاشَ قَرِيـرَا

فالأسلوب الخبري عَمَل علَى إيقاظ المشاعر، وإشعالها بالحنين إلى الأيام الجميلة، والمعالم الَّتِي تشهد بالمجد والعزَّة، والنُّزهة والرَّيعان، وتُذَكِّرُ بعظمائها وقوادها، مما يبث اليقين والتأثير في المتلقي .

٢ ــ الأسلوب الإنشائي:

هو ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته[٢]، ويُعَدُّ من الأساليب الفنِّيَّة الَّتِي لها وَقْعُهَا المُتَمَيّز والمُمْتع في الكلام، ولا يخلو شعر شاعر منه؛ وذلك لما

([١]) (ديوان مُحَمَّد الحَلَويّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١٠٤.

([٢]) ينظر: حمدان مصطفى: (أنهر البلاغة وحسن الصنيع في علمي المعاني والبديع)، نوابغ الفكر، ط١، القاهرة٢٠٠٩م، ص٢٦ .

يُقَدِّمُه من لطائف بلاغيَّة وأدبيَّة تُؤثِّر في القارئ والسّامع، كما أنَّه يعمل على ثراء المعنى وتعميقه، وإبرازه في صورة جديدة ومفيدة .

ويكون الأسلوب الإنشائي طلبيًّا إذا طُلِبَ به حصول شيء لم يكن حاصِلًا وقت الطلب، وذلك كالأمر، والنَّهي، والاستفهام، والتَّمَنِّي، والنِّداء، ويكون غَيْرَ طلبيٍ إذا لم يُطْلَبْ به شيء وإنَّما يُذكر لأهداف أدبيّة وفنيّة يُنشدها الشّاعر، وذلك كأسلوب المدح والذم، والتعجب، والقسم، وصيغ العقود .[١]

وللأسلوب الإنشائي دورٌ بارزٌ، بل وبالغُ الأهمية في شعر(الحَلَوِيّ) حيث استطاع مُساعدة الشّاعر في إيصال فِكرهِ وتأمُّلاتِه، وما يدور في وجدانه للمُتَلَقِّي بوِجهَةٍ فنيَّةٍ وبلاغيَّةٍ تُزَخْرِفُ المعنى وتُزَيِّنُه، وتجعل فيه الرَّاحة والقبول، ومن تلك الأساليب: الأمر، والاستفهام، والشرط، والنِّداء، والتوكيد، وكلها أساليب تَميلُ إلى إظهار عنصر الطَّبيعة المُوظَّف في أكمل دقّةٍ، وأبهَى صُورة، والنماذج على الأساليب الإنشائي التي أسهمت في الخطاب الإقناعي لدى المتلقي عند(الحَلَوِيّ) كثيرة ومتعددة منها على سبيل المثال:

١ ــ أسلوب الأمر :

من الأساليب الإنشائية التي تنبه (الحلويّ) إلى أهميتها في إقناع المستمع بتجربته ومراده؛ وذلك لما تحمله صيغة الأمر من تنبيه وجذب، وقد أحسن اختياره، وتوظيفه، وعلى ما يبدو أنَّ أسلوبَ الأمر كان له وَقعٌ مُتميِّزٌ في نفس(الحَلَوِيّ) حيث كان يُوظَّفهُ دائمًا في شَوْقِه وحنينِه لطبيعة

---

(١) ينظر: علي الجارم، ومصطفى أمين:(البلاغة الواضحة)، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٦٩، ١٧٠.

بلده، وأيام شبابه الَّتِي لا تعود، فيلتمس من الطَّبيعة أنْ تُعِيدَ لهُ البهجةَ والسُّرور، وبذلك يجذب انتباه المتلقي ليعيش التجربة ويشاهدها بخياله فيقول من بحر[الخفيف]: (١)

ذَكِّرَانِي إِنْ كُنْتُمَــا تَذْكُرَانِي ... بِالَّذِي مَــرَّ مِنْ رَبِيــعِ زَمَــــانِي
ذَكِّرَانِي فَمَا أَنَـــا ذُو عُقُوقٍ ... لِتُـــرَاثِي وَلَا بِـــــذِي نُكْـرَانِ!
ذَكِّرَانِي مَبَاهِجًــا فِي بِلَادي ... مَـــا تَمَلَّت بِحُسْنِهَـــا عَيْنَـــانِ
ذَكِّرَانِي شَبَابَ عُمْرٍ نَضِيرٍ ... بَاسِمِ الثَّغْرِ بِالمُنَى رَيِّـــــانِ
ذَكِّرَانِي فَاسَـــا وَأَيَّامُهَـــا غُرْ ... رٌ وَضِيئَاتٌ كَالوجوهِ الحِسَانِ

ففعل الأمر(ذَكِّرَانِي) الذي تكرَّر ما يقرب من سبع مرات علَى مَدار القصيدة حَملَ المعنى علىَ التَّحسُّرِ والنَّدمِ على أيَّام الفرحِ والسُّرور، كما أنَّه أشْعرَ بالتماس عوْدةِ الزمنِ الجميل، كما أنَّه حمل نغمة التنبيه التي تساهم بنصيب كبير في الإقناع والتأثير .

كذلك من الأمور التي أسهمت في تحقيق الإقناع والجذب توظيف (الحَلَويّ) لصيغة الأمر في التماس الهداية والنجاة للأُمة ببركة الرسول ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ فقال من بحر[الخفيف]: (٢)

يَا رَسُــولَ الهُـــدى بِنُورِكَ أَجْلُــو ... ظُلُمَــاتٍ تَلَبَّــدَتْ فِي فَضَــائِي
أَنْتَ طَــوْقُ النَّجَـــاةِ فِي كُلِّ خَطَبٍ ... يَعْتَــرِينَــا وَبَلْسَـــمُ الأَدْوَاءِ
فَأَضِيء دَرْبَنَــا بِنُــورِكَ وانْشِــل ... أُمَّــةً فِي مُحِيطَهَــا كَالغُثَـــاءِ
لَا تَدَعْهَــا تَتِيــهُ وَسَــطَ عُبابٍ ... وَهْيَ مَنْهُوكَةٌ مِن الإِعْــيَـــاءِ

---

(١) (ديوان مُحَمَّد الحَلَويّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١١٩، ١٢٠ .
(٢) المصدر السابق، ص ٣٣، ٣٤ .

وَادْعُ لِلْعَرَبِ أنْ يَعُــودُوا إِلَى الرُّشْــ ـــدِ وَأَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ النَّجَاءِ
وَتَوسَّــلْ لِلَّهِ أنْ يَجْبِـــــرَ الكَسَــ ـــرَ وَيَجْرِي أَلْطَافَهُ فِي القَضَاءِ

فالشاعر وظَّف أسلوب الأمر في الاستعطاف والتَّوسل بالنبي ـــ صلَّى اللهُ عليه وسلّم ـــ عند الله ــ تعالَى ــ لِيُصلح حال الأُمة ويجمعَ شملَها، واستدعى العناصر الطَّبيعيَّة لتكون أداةَ اللين والرِّقَّة والجذب والإثارة.

٢ ــ أسلوب الاستفهام :

يُعَدُّ الاستفهامُ أحد الأساليب البارزة الَّتِي استثمرها (الحَلَوِيّ) في الإقناع والتأثير فاستدعى الذكريات الجميلة، وأيقظ الأشْوَاق الدفينة الَّتِي تَحملُ عَبَقَ الماضي السَّعيد، فيقول من بحر[الخفيف]: (١)

أي مَجْدٍ تَرَى عُيُونِي مُضِيئًا مُشْرِقَ الوَجْهِ شَـــامِخَ البُنْيَانِ؟
أي مَاضٍ يطلّ مَــا زَالَ حَيًّا مَاثِلًا ــ وَهُوَ غَــائِبٌ ـــ لِلْعَيَانِ؟

فالشاعرُ يُوظَّف الاستفهام لإيقاظ مشاعرِ الذِّكرَى في نفسه، وإفاقةِ أحاسيس التَّذكُّرِ والاستلهام، وهو بذلك يُحرِّك دَفَّةَ الشُّعور؛ لِتُلازمَ منظُومة الاستثمار ومَلْحَمَةِ الخيالِ والإبداع؛ ليساهم كل ذلك في عملية الإقناع .

٣ ــ أسلوب الشّرط:

هو أحد الأساليب الفنيَّة المهمة الَّتِي استند إليها(الحَلَوِيّ) خِدْمةً لتجربته وعرْضًا لأغراضِه وأهدافِه، وإقناعًا للمتلقي بتجربته وأهدافه، فقد ظهرت براعة الشاعر الإقناعية من خلال توظَّف أسلوب الشَّرط في تَشْخيص الطَّبيعة؛ ليثر انتباه السامع، ويحرك وجدانه ومشاعره، فيقول على وزن

---

(١) (ديوان مُحَمَّد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١١٧ .

بحر[الكامل]: [١]

وَشَبَابُ عُمْرِكَ فِي الحَيَاةِ رَبِيعُــهُ فَإِذَا انْقَضَى لَمْ يَبْقَ مَا تَخْتَارُهُ

فأسلوب الشّرط عَمِلَ على بَثِّ النُّصح والإرشاد للمتلقِّي وحثِّه بالأخذ بجوهرهما، وهي اغتنام فترة الشباب فيما هو نافعٌ ومفيدٌ فهذه الفترة هي موطن القوة والعطاء، وهذا من دوافع الإقناع التي اغتنمها الشاعر .

كذلك عمَلَ أسلوب الشَّرط على الإثارة والتَّشْويق حيثُ قال(الحَلَوِيّ) من بحر[البسيط]: [٢]

لَوْ يَشْتَهِي الْمَرءُ فِرْدُوسًا يُقِيمُ بِهِ مَا كَانَ عَنْ خُلْدِهَا المَوْعُودِ يَنْتَقِلُ

فقد كان لأسلوب الشّرط دورٌ بارزٌ في الإقناع والجذب؛ لما له من خاصية التنبيه والتفكير في تحقيق جواب الشرط .

كذلك كان للظواهر الأسلوبية التي أبدعها(الحَلَوِيّ) أثرٌ فاعلٌ في مسألة الإقناع والتأثير، حيث عملت على انشغال المستمع وإعمال فكره نحو هدف الشاعر، ومن هذه الظواهر على سبيل المثال

أ ــ ظاهرة التكرار[٣]:

يُعَدُّ التكرار من الظّواهر الفنِّية الَّتِي تُثرِي النَّصَّ الشّعريَّ بالحيويِّة،

([١]) (ديوان مُحَمَّد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ٩٨ .

([٢]) المصدر السابق، ص ١٠٢ .

([٣])هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الــذم أو التهويــل أو الوعيد. ينظر: ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد البغدادي، ثم المصري: (تحرير التحبير)، تحقيق: د. حفني محمد شرف، لجنة إحياء التــراث الإســلامي، الجمهورية العربية المتحدة،ج١، بدون تاريخ، ص٣٧٥ .

وتمدُّهُ بخاصيّةٍ نَغميَّةٍ قد تُثِير المُتعة في نفس المُتَلَقِّي، وهذا التكرار قد يلجأ إليه الشّاعر نتيجة دوافع نفسيَّة، وأخرى فنيَّة، أمّا الدوافع النَّفْسِيَّة" فإنَّها ذات وظيفةٍ مُزْدَوَجةٍ تجمع الشّاعر والمستمع على سواء، فمن ناحية الشّاعر يعني التكرار الإلحاح في العبارة على معنى شعوري يبرز من بين عناصر الموقف الشّعري أكثر من غيره وربَّمَا يرجع ذلك إلى تَمَيُّزه عن سائر العناصر بالفاعِلِيَّة، ومن ثَمَّ يأتي التكرار لتميُّزه بالأداء"[١]، أمّا الدوافع الفنِّية فتَكْمُن في" تحقيق النغميَّة والرمزيَّة لأسلوبه" [٢] .

ولمَّا كان التّكرارُ من المميزات المهمة في تحقيق الإقناع أصبح عند (الحَلَوِيّ) سِمَةً أسلوبيَّةً لا يستطيعُ الإبداع بدونها فهو أحد الظَّواهر الايجابيَّة الَّتِي ربَّمَا تُساعِدُ علَى فَهْمِ تَجْربتِه وتُوضِّحُ مغزاه، ومن النَّماذج علَى ذلك قوله من بحر[الكامل]: [٣]

يَجْرِي كَمَا تَجْرِي الحَيَاةُ مُسَافِرًا لا يَشْتَكِي، أوْ تَنْتَـــهِي أَسْفَـــارُهُ

فالشَّاعِرُ يُكرِّرُ الفعل المضارع " يجري " مرَّتين أفُقِيًّا علَى سبيل التَّشْبيه، وقد أفادَ التّكرار سُرْعةَ جَرَيَانِ الماء، كما أفاد دوامَ التَّجْديد للماء حتَّى يَحْتفِظَ بمُكَوِّناتِ الطَّاقَةِ والحياة .

كذلك يقول من بحر[الكامل]: [٤]

---

(١) مصطفى السعدني: (البنيات الأسلوبية في لغة الشّعر العربي الحديث)، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨٧م، ص١٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٣.

(٣) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ٩٨ .

(٤) المصدر السابق، ص١١٥ .

نَسِيرُ إِلَى غَرْنَاطَةٍ وَقُلُوبنَا لِغَرْنَاطَةٍ مِنْ شَوْقِهَا تَتَحَرّقُ

فقد كرَّرَ كلمة(غرناطة) " مرَّتين " أفقيًّا وأفاد التّكرارُ إعلاءَ شأنِ المُكَرَّرِ ورفع قيمته ومكانته عِنْدَ المُتَلَقِّي .

ومن التّكرار الرأسي الذي يحمل معنى الشَّوْق والحنين، قولُهُ على بحر [الطويل]: (١)

سَلَامٌ عَلَى غَرْنَاطةٍ وَقُصُورِهَا وَمَاضٍ سَنِي مُسْتَطَابٍ بِهَا خَلَا

سَــلَامٌ عَلَى أَيَّامِنَــا بِرُبُوعِهَا وَعَيْشٍ نَضِيرٍ بَعْدَهَا قَطّ مَا حَلَا

هكذا يُمثِّلُ التّكرارُ في شعر(الحَلَوِيّ) علامةً بارزةً في وُضُوح المَعْنَى وَتَوكِيدِه، كما أنَّه من السِّماتِ الفنِّيَّةِ الَّتِي بَرَعَ في استثمارها وتركيزها في المَعْنَى المقصود؛ ليحقق الإقناع والتأثير .

ب ــ الاقتباس(٢):

هُوَ من الظَّواهر الأسلوبيَّة الَّتِي تنبَه(الحَلَوِيّ) إلى أهميتها فنيًّا في الجذب والإقناع، فمع عِشْقِه للطبيعة ومفاتِنِهَا يَعْشَقُ دِينَهُ، لا يَنْسَى أنَّ الذي أبدعَهَا هُو الله الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شيءٍ خَلَقَهُ؛ لذا تَراهُ بَيْنَ الحِينِ والآخَر يقْتبِسُ من كلام رَبِّه؛ ليُثبتَ ذلك ويُقَرِّرُهُ في ذهن المتلقي ويبُثَّ فيه الإقناع والتأثير .

والاقتباس إذا كان يُكسِبُ المعنَى قُوَّةً، فهو يُكسِبُ الأسلوبَ ـــ أيضًا ـ بهاءً وجمالًا، ويُعطِي الألفاظَ رَوْنقًا، حيث إنَّه يُدَعِّمُ النِّتاج بالعبارة الرَّبانيَّة،

---

(١) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٢٦ .

(٢) الاقتباس هو : تضمين النثر، أو الشعر شيئًا من القــرآن الكــريم، أو الحــديث الشريف. ينظر: مصطفى أمين،:(البلاغة الواضحة)، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

ولقد كان(الحَلَوِيّ) دَقِيقًا في تَوْظيف اقتباساتِه القُرآنيَّة والتَّعبير الذي لا يعلوه تَعْبِيرٌ، مِمَّا جعلها حِلِيَةً تُزيّنُ القولَ وتُنمِّقُ القصيدةَ، وتُعمِّقُ المعنى وَتُوضِّحُه.

ومن نماذج الاقتباس المُؤثِّر قوله من بحر[الكامل]: (١)

مِثْلُ الأَبَابِيلِ الَّتِي قَدْ أُرْسِلَتْ تَرْمِي سِهَامَ اللهِ وَهْوَ يُصَوِّبُ

فهو مُقْتَبَسٌ من قوله تعالى:" وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ " (٢)، وَدَوْرُ هذا الاقتباس في المعنَى يُؤكِّده ويُقوِّيه، ويُصوِّرُ مدَى العزيمةِ والقُوَّةِ الَّتِي يمتلِكُهَا أصحابُ الحقِّ في صَدّ الباطِلِ والقضاءِ عليه .

كذلك يُوظَّف الشّاعرُ أسلوبَ الاقتباس في فَرْحَةِ الأمِّ بقدُومِ وليدها فيقول من بحر[الطويل]: (٣)

تَعُدُّ اللّيالي وَهِيَ تَحْمِلُ ثِقْلَهُ وَتَرْقُب فِي اسْتِهْلَالِهِ لَيْلَةَ القَدْرِ

فهو مقتبس من قول الله ـــ تعالى ـــ :" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" (٤) ليُبيِّنَ الشُاعرُ شدَّةَ فَرَحِ الأمِّ بجنِينِهَا .

ج ـــ المُحَسِّنَات البديعيَّة :

المحسنات البديعية من الظواهر الأسلوبية التي تساهم في إمداد التجربة الشعرية والإبداع الأدبي بمزيد من الإقناع والتأثير، وذلك لما

---

(٣) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ٢٣٠ .

(١) سورة الفيل ، الآيتان رقم ٣ ، ٤ .

(٢) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ٣٠٣ .

(٣) سورة القدر آية رقم ١ .

تمتلكه من قدرة فائقة على جذب المتلقِّي وإعمال فكره ووجدانه، وهي من الفنِّيَّات التي أضْفَت على شعر(الحَلَوِيّ) روعةً وجمالًا وبهاءً، وإن كانت لا يكاد يخلو شِعرُ شاعرٍ منها؛ إلَّا أنَّ اللَّافت للنَّظَرِ أنَّها جاءتْ في شعر(الحَلَوِيّ) عَفْوَ الخاطر، فلا تُحِسُ أنَّه يتصنّع فيها ويكدُّ ذهنه في توظيفها، وإنَّما تأتي تابعة للرونق الجمالي العام للأبيات بما يحقق الإثارة والجذب والإقناع .

ومن المُحَسِّنَات البديعيَّة الَّتِي أُغرم بها الشّاعر، وزادتْ شعرَهُ روعةً وازدهارًا:

١ – الجنَاس فهو من الظواهر البديعية الَّتِي تمنحُ الألفاظَ قُوَّةً وجاذبيَّةً، وتُسيطرُ عَلى فكْر المُتَلَقِّي ليَعِيشَ تجربةَ الشاعر، ويَفْهمَ أهدافَهُ ومقاصِدَهُ، يقول(الحَلَوِيّ) من بحر[الكامل]: [١]

وَافَى الرَّبِيع وأشْـــرَقَتْ أنــوارُهُ وافْتــرَّ في خُضرِ الرُّبى نُــوَّارُهُ

فبين(أنواره، ونواره) جناس ناقص أكْسَبَ الألفاظَ نغمًا يَرُوقُ للآذان سماعه، ومنح المعنى دقةً ووضوحًا، ومن روائع العفوية عند(محمد الحَلَوِيّ) اشتمال البيت على مُحسِّن بديعي آخر وهو التصريع[٢] الذي يعني اتحاد قافية العروض مع الضرب مِمَّا زاد في ثراء المُوسِيقا الداخليَّة وعُمْقِهَا .

كذلك من المُحَسِّنَات البديعيَّة الَّتِي استدعاها(الحَلَوِيّ) لتحقيق الإقناع

---

(١) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص٩٥ .

(٢) ينظر: د. عبده عبدالعزيز قلقيلة: (البلاغة الاصطلاحية)، دار الفكر العربي،ط٣، بيروت١٩٩٢م، ص٢٥٩ .

بتجربته والاستمتاع بمهارته الفنية، فعمل على توظيفها توظيفًا زاد من حُسْنِ الأسلوب وَجَمالِهِ:

٢ – الطِّباق، وهو أن تجمعَ بَيْنَ ضِدّيْن مختلفين، كالإيراد والإصدار واللَّيْل والنهار، والسواد والبياض.(١)

ومن النَّماذج على ذلك قوله من بحر[الخفيف]: (٢)

سَوْفَ نَمْضِي كَمَا أَتَيْنَا وَيَبْقَى بَعْدَنَا مَنْ بَقَاهُ فَوْقَ الزَّمَانِ!

فبين(نمضي، وأتينا) طباق إيجاب وضَّحَ المعنى وقَوَّاهُ وَسهَّلَ فَهْمَهُ .

أيضًا من الظواهر الأسلوبيَّة الَّتِي تؤدي دورًا مُهِمًّا في حلاوة الجَرْس المُوسيقي الذي يمتع القارئ ويدعم تحقيق الإقناع:

٣ – حُسْنُ التّقسيم، وهو يقوم علَى" تجزئة الوزن إلى مواقفَ يَسْكُتُ عندها المرْءُ أثناءَ التَّأديَةِ لِلَفْظِ البيت أو يستريحُ قليلًا كأنه يُومئُ إلى السَّكْت..." (٣)

ومن النماذج على حُسْنِ التَّقْسِيم قوله: من بحر[الخفيف]: (٤)

بَيْنَ غَابٍ وبَيْنَ شَمْسٍ وثَلْجٍ وَرِمَالٍ تَنْسَابُ فِي الشُّطْآنِ

فحُسْن التَّقسيم جعلَ للألفاظ جَرْسًا أخّاذًا يَشُدُّ الانتباه .

ويتبيَّنُ لنا من خلال ما سبق عرضه أنَّ الألفاظَ والأساليبَ كانتْ بمثابة

---

(١) ينظر: أحمد بن عبد الوهاب، شهاب الدين النويري:(نهاية الأرب في فنون الأدب)،دار الكتب والوثائق القومية، ج٧، الطبعة: الأولى، القاهرة ١٤٢٣ هـ، ص٩٨.

(٤) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٢١ .

(٣) عبدالله الطيب المجذوب:(المرشد إلى فهم أشعار العرب)، دار الفكر العربي ط١ ، ج٢، بيروت ١٩٧٠م، ص٢٧٨.

(٢) (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١١٨ .

قناة مِحْوَرِيَّة يَصُبُّ الشاعرُ في مُحِيطِهَا معانيه وأفكارَه، ويَنْشُر علَى صَفْحتِها عَواطِفَهُ وَمَكامِنَ وُجْدَانِه؛ ليحقق الإمتاع والإقناع بتجربته بما يضمن لها البقاء والاهتمام .

المبحث الثاني
الصُّورة الشعريَّة والمؤثِّرات الموسيقيَّة

تُعدُّ الصُّورة الشعرية من أهم وسائل الإقناع والجذب العقلي والوجداني لاحتوائها على جُل المكونات الرئيسة في التجربة الشعرية " فهي الشكل الفنّي الَّذي تتخّذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خالص؛ ليعبِّرَ عن جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة، وإمكاناتها، والدلالة، والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والترادف، والتضّاد، والمقابلة، والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفنّي"(١)

وبذلك تكون الصورة الشعرية من أهم الأسس التي تُعينُ على فَهْم التجارب الشعرية على وجه العموم ؛ لأنها تكشف عن تلك العلاقات الخَفيَّة التي يقيمها الشاعر بين عناصر الصورة، ومكوناتها المختلفة، وبين مواقفه في الحياة وظواهرها في بيئته. (٢)

وبالنظر في شعر(محمد الحَلَوِيّ) تجد أنَّه مليئ بالصور الدقيقة المتقنة التي ساعدت على توضيح المعنى وترسيخه في نفس المتلقي سواءً الصور الجزئية أو الكلية على النحو التالي:

---

(١) د. عبد القادر القط : (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر)، مطبعة مكتبة الشباب، ١٩٨٨ م، ص ٣٩٢ .

(٢) يُنظر: د. إبراهيم عبد الرحمن : (الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية)، مكتبة الشباب، القاهرة، ص ٢٧٠ .

١ـــ الصُّورة الجُزئيَّة :

تُمَثِّلُ الصُّور الجُزئيَّة جُزءًا فنيًّا وجماليًّا من أجزاء التَّجربة يساعد على الفهم والإقناع والاستمتاع بالمهارة التي تجذب مشاعر المتلقي وأفكاره ، فهي تستقلُّ بمشهدٍ صغيرٍ، أو فكرةٍ مُحدَّدة في إطارٍ مخصوصٍ لعرضها في كيانٍ مستقلٍّ؛ لذا هيَ صورةٌ جزئيَّةٌ، ولا تُرسَمُ صورة كليَّة مُركبة، والصُّور الجزئيَّة هي :

أ ــ التّشبيه :

للتشبيه وَقعٌ متميِّزٌ وحُضورٌ فعَّال في شعر الحَلَوِيّ، حيث استعان به على فهم التَّجربة ونقلِ أحاسيسِه وتبسيطِها للمُستمع .

ومن النَّماذج على استدعاء التّشبيه كصورة جزئيَّةٍ توضِّحُ المعنى وتُبسِّطُه للإقناع والإثارة، قوله من بحر[الكامل]: (١)

طَبَعَ الأسَى أطْلَالَهَا فَكَأنَّهَا خَرْسَاءُ أفْقَدَهَا الأسَى التَّعْبِيرَا

فقد وظَّف التّشبيه في رسم صورة الظلال القاتمة لديار محبوبته، حيث شبَّه أطْلَالَهَا بالْخَرْسَاء الَّتِي أفْقدها الْحُزنُ التَّعْبيرَ والكلام .

أيضًا من التّشبيه الذي أثْرَى الصُّورة ووضَّحها، وعمّق المعنى وقوَّاه، قوله من بحر[الكامل]: (٢)

للهِ حُبٌّ لَمْ يَزَلْ مُتَوَهِّجًا كَالنُّورِ يَخْتَرِقُ الفَضَاءِ مَسَيرَا

فالصُّورة الجزئيَّة القائمة على التّشبيه جعلت من التصوير الشعري الدقيق مصدرًا للقُّوةِ المعنويَّةِ الخارقة المُتمثِّلة في النُّور، حيث شبَّه حُبَّهُ

---

(١) (ديوان مُحَمَّد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٠٤ .

(٢) المصدر السابق، ص١٠٨ .

في توهجه وشدته بالنُّورِ الذي يخْتَرِقُ الفضاء، ويُبَدِّدُ الظلام .

ب ــ الاستعارة :

تُعَدْ الاستعارة إحدى الصُّور المُهِمَّة الَّتِي يعتمد عليها الشّاعر في بناء شعره ودقَّة تركيبه؛ لأنَّها" تُعَدْ خَلْقًا جَدِيدًا للغة، ولغةً داخل اللغة، فيما تقيمه من علاقاتٍ جديدةٍ بين الكلمات، وبها تَحْدُث إذابة لعناصر الواقع، ليعاد تركيبها من جديد، وهي بذلك تثبت حياة داخل الحياة الَّتِي تعرف أنماطها الرَّتيبة، وهي بذلك تضيف وجودًا جديدًا، أي تزيد الوجود الذي نعرفه، هذا الوجود الذي تخلقه علاقات الكلمات بواسطة تشكيلات لُغويَّة عن طرق تمثيل جديد له"[١]

ولقد استوعب(الحَلَوِيّ) فائدة الاستعارة فأبدع صورًا استعاريَّةً غاية في الدِّقة والجمال، أسهمت بشكلٍ واضحٍ في استقامة النَّظم وقُرْب المغزى .

ومن النَّماذج على ذلك قوله من بحر[الرجز]: [٢]

مَجْدٌ طَوَتْهُ يَدُ الزَّمَانِ كَأَنَّهُ مَا كَانَ يَوْمًا زَاهِيًّا مَنْشُورَا

حيث تَخَيَّل الزَّمَان إنسانًا له يد، ثم حذف المُشبه به ــ الإنسان ــ ودَلَّ عليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصيَّة.

ج ــ الكناية :

لقد كان للكناية في شعر(الحَلَوِيّ) أثرٌ عميقٌ من حيث الكشف عن المعاني وإخراجها في صورةٍ حسنةٍ تُقرِّب المُراد وتجذب ذهن المُتَلَقِّي

---

(١) د. رجاء عيد:(فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور)، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٨م، ص١٥٧ .

(٢) (ديوان مُحَمَّد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٠٤ .

والتدبُّر، وتحرك عواطفه .

وكان(الحَلَوِيّ)غالبًا يوظِّفُ الكنايةَ لإبراز جماليات التعبير، وخدمةً للمعنى الذي يُريد إظهاره، وعلى ذلك يقول من بحر[الرمل]: [١]

حَوَّمَ الْبُومُ عَلَى أَبْرَاجِهَا وَطَوَاهَا المَوْتُ مِنْ غَيْرِ نُشُور

ففي قوله:(حَوَّمَ البُومُ على أبْرَاجِهَا، وطَوَاهَا المَوْتُ) كناية عن صفة وهي الخراب والدَّمار الذي أصاب الدِّيار .

ج ــ المجاز المُرسل :

لقد قام المجاز المُرسل بدورٍ مُثمِرٍ في ثراء الصُّور الجُزئيَّة، وجذب القارئ بالإقناع والتأثير، ومن النَّماذج على ذلك قوله من بحر[الطويل]: [٢]

مَعَالِمُ خُرسٌ غَيْرَ أَنَّ لِسَانَهَا جَوَامِعُ آيَاتٍ وَوَحِيٍّ تَنَزَّلَا

حيث أطلق اللغة وأراد اللسان على سبيل المجاز المُرسل، والعلاقة الآليَّة، فالمجاز أدى دورًا كبيرًا في إيضاح المعنى وتقويته، وعلى ذلك هو من الصُّور الجُزئية المُؤثرة .

٢ــ الصُّور الكُلِّية :

تُعَدُّ الصُّورُ الكُليةُ المُرْتَكَزَ الأساس في بناء الصُّورة الشّعريِّة، وجودة النَّظْم؛ لأنَّها تقوم على الحواس الَّتِي تُساعد على التفكير والتَّأمُل، لاستخلاص المادة الشّعريِّة، ودقة توظيفها، حتَّى يبلغ الشعر الغاية المنشودة والهدف المطلوب، ومن النماذج على الصُّور الكليَّة الَّتِي أبدعها(الحَلَوِيّ) :

---

(١) المصدر السابق، ص١١١ .

(٢)(ديوان مُحَمَّد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٢٥ .

أولًا : الصُّورة البصريَّة :

ليس ثَمَّة شكّ في أنَّ البصرَ يُعَدُّ من أهمِّ وأدقِّ حواسّ الإنسان، وأكثرها مُلامسةً للواقع تأثيرًا وتأثرًّا، فبه يمتزج الشّاعر مع الواقع، ويوظف مشاهد الطَّبيعة وروائعها لخدمة تجربته ونقل أحاسيسه ومشاعره .

والشّاعر عِنْدما ينقل أبعاد موضوعه، ويُعبِّر عن تجربته يستخدم الألوان الَّتِي تُعَدُّ من أهم ما يجذب البصر، فيرسمُ لوحةً فنيَّةً دقيقةً تُعَبِّر عن أفكاره ومشاعره، وحُسن إدراكه الحسِّي لمشاهد الطَّبيعة ومفاتنها، يقول (الحَلَوِيّ) من بحر[الكامل]: (١)

وَافَى الرَّبيــع وَأشْرَقَتْ أنْــوَارُهُ وَافْتــــرَّ فِي خُضْرِ الرُّبَى نُــوَّارُهُ

وأشَــاعَ فِي الدُّنْيَــا بَشَائِرَ بَهْجَــةٍ مُخْضَرَّةٍ طَفَحَتْ بِهَا أنْهَــارُهُ

فالرَّبيع عِنْدما يأتي يُغَيْرُ شكلَ الأرض، ويملؤها بالألوان الخضراء الزّاهية الَّتِي تُبْهِجُ النظر وتُغذِّيه، وعن طريقه تهيج المشاعر، وتبعث العواطف أرق وأعذب الكلمات .

ثانيًا: الصُّورة السَّمعيَّة:

تُسيطرُ الصُّورةُ السَّمعيَّةُ على مساحةٍ شاسعةٍ من مخيلةِ الشّاعر وفكرِه، وتحتلُّ مكانةً بارزةً، بل ومؤثرة في قوام الصُّورة الكليَّة، حيث إنَّها تقوم على الصّوت والحركة، وتكتسب أهميتها من جذب مشاعر المتلقي وتحرك وجدانه.

فتعانُقُ الصّوت مع الحركة وبراعة التشكيل يُنْتِجُ صورةً تعبيريةً جميلةَ الشّكل، وعميقةَ الذَّوْق؛ لأنَّ أصواتَ الألفاظ لها وَقعُها المؤثِّرُ والمُتميِّزُ في

---

(٢) المصدر السابق، ص ٩٥ .

الأداء الشّعري، وبخاصةٍ إذا كانت تلك الألفاظ مُتصلة بالطَّبيعة وسحرها، ومن النَّماذج على ذلك قول(الحَلَويّ)من بحر[الكامل]:[١]

وَعَلَى الرَّوَابِي الخُضْرِ بَيْنَ شِياهِــهِ رَاعٍ يُغَنِّي للهــوى مِــزْمــارُهُ
يَشــــــدُو لِلَيــــْلاهُ لَوَاعــجَ حُبِهِ لحنًــا تُدَغْــذِعُ قَلْبَهــا أوتارُهُ
تــــرْوِي البــطــــاحُ لُحُونَــــهُ وتظل خــَالــدَةً بِهــا أشْعــارُهُ
وَسَمِعْتَ مُوسِيقَى الطَّبيعة هَمْســةً وَخَرِيرَ نَهْــرٍ صَــاخِبٍ تَيَّــارُهُ
وَغِنــاءَ شَحــرُورٍ وَسَجْعَ حَمَــامَةٍ وَنَدِيــمَ حَيٍّ أَطرَبَت أَسْمَــارُهُ

فالشّاعر انجذب لواقع الطَّبيعة الغنَّاء بما تحمله من روائع تُتيح له وللمُتَلَقِّي التَّخيُّل، وتمنح تجربة الشاعر صفة الجذب والإقناع؛ لذا يرسم لوحةً شعريَّةً أدواتها طبيعيَّة غاية في الرَّوعة والجمال، فأصوات الألفاظ تُثير انتباه السامع وتُحرك عواطفه حتَّى أنَّه يتخيل نفسه يسمعها ويستلذُّ بها عِنْد قراءتها .

ثالثًا: الصُّورة الحركيَّة:

الصُّورة َالحركيَّةَ من الصُّور الكُليَّة الَّتِي تساهم بشكل فعَّال في تحقيق الإقناع والشاعر يعتمد عليها في بناء هيكل القصيدة؛ وذلك لأنَّ قوامَها النَّشاط والتّجديد الذي يؤثر على القارئ والمستمع بطريقة مباشرة، حيث تبعث فيه الرَّغبة الشَّديدة في المُتابعة والاندماج مع النَّص الشّعري .

ولقد وظَّف(الحَلَويّ) عنصر الحركة في تجديد الذكريات فقال من بحر [البسيط]: [٢]

---

(١) (ديوان مُحَمَّد الحَلَويّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ٩٥.

(١) (ديوان مُحَمَّد الحَلَويّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص ١٢٧.

يَا هَبَّةً مِن صبَا فَــاسٍ ووادِيهَا ذَكَّرَتْنِي الغُـــر مِن أَيَّــامِ مَاضِيهَا
عَادَتْ لِأَحْضَانِهَـــا بَغْدَادُ ثَانِيَةً وَعَــانَقَت شَهْــرَزَادٍ فِي لَيَالِيهَــا
جَنَّاتُهَا الخُضْرُ نَيْرُوزٌ وَكَوْثَرُهَـــا يَنْسَابُ شهْدًا مُذَابًا في سَوَاقِيهَا
تُسَافِرُ العَيْنُ فِي آفَاقِ رَوْعَتِهَا مَبْهُورَةَ الشّوْق لا تَسْلُـــو مَجَالِيهَا

فتذكُّرُ حركة الطَّبيعة الدَّائبة والمُتَجدِّدة، جعله يشتاق بلهفةٍ إلى موطنِ الذكريات الجميلة، ومعقل النشاط والحيوية، ويؤسر وجدان المتلقي وعقله ليعيش معه تجربته .

أمَّا عن المؤثرات الموسيقية فقد كانت ذات أهمية قُصْوَى في الجَذْب والإثارة النَّغميَّة لدى المتلقي، فلمّا كانت المُوسِيقا من الوسائل المُهِمّة الَّتِي تُسيطر على الوجدان، وتستحوذ على مشاعر الإنسان وتُثير عواطفه ارتبطت بالخطاب الشّعري، وأصبحت أكثر تَعَلُّقًا به؛ لأنَّ "الشّعرَ صورةٌ جميلةٌ من صور الكلام"(١)، وذو قُدرة على استمالة ذَوْق السامع، وأسْر عواطفه وانفعالاته، فإذا كان الشّاعر ذا قُدرةٍ ودِقّةٍ في تشكيل النَّغم المُوسِيقي، سواءً الخارجي، أو الدَّاخلي، يجد شِعرُهُ استجابةً فور سماعه، بالإضافة إلى أنَّ هذا يُعَدُّ عاملًا مُهِمًّا من عواملِ جودةِ الشّعرِ وسلامةِ ذَوْق الشّاعرِ الأدبيّ، ورهافةِ حِسِّهِ الشّعريّ، وأحد مهام الجذب والإقناع .

والموسيقا الشعرية تنساق حسب النغم المقصود في إطارين: موسيقا خارجية، وموسيقا داخلية:

---

(١) د. إبـــراهيم أنيس:(موســـيقا الشّـــعر)،مكتبة الأنجلـــو المصـــرية،ط٥،القـــاهرة ١٩٨١م،ص٧.

١ ــ المُوسِيقا الخارجيّة:

لمّا كان للوزن الشّعري الدور الأكبر في ترويج الشّعر العربي وقبوله والإقناع به تمسَّك غالبية الشُّعراء به واستعانوا برنينه ونغمه في جذب أحاسيس المُتَلَقِّي وإثارة مشاعره .

الوزنَ الخَارِجِيَّ للقصيدة الشّعرية يُعَدُّ من أهم الأُسس الَّتِي "تُحققُ الوحدة الفنية للقصيدة" [١]؛ لذا، نجدُ الشّاعرُ المَاهِرُ مَنْ يختار لموضوعه ما يُنَاسِبه من الأوزان حتَّى يُحقق تلك الوحدة في نتاجه .

ولا غرابة في التصاق الشّعر بالنَّغم الإيقاعي؛ لأنَّ" الشّعرَ العربيَ كُلَّه نشأ في ظروف غنائية"[٢] تستدعي الرَّقّة اللفظية الَّتِي تستقطب المشاعر، وتستحوذ على الأفكار.

وقد استوعب(مُحَمَّد الحَلَوِيّ) القيمة الفنيَّة للوزن الشّعري وما يمثِّلُهُ من أهميَّةٍ صوتيَّةٍ تُبدِّدُ الملل وتبعث البهجة والارتياح، فارتسم خُطى الأقدمين، حيث إنَّه وظَّف في شعره الأوزان الخليليَّة المُتعارف عليها ولم يَحِد عنها، ومالَ كثيرًا إلى البُحُور الَّتِي تتفاعل مع تجربته، وتتناسب مع ما ينشده من تحقيق الجذب والمتعة والإقناع مثل البحر(البسيط، والكامل، والطويل، والخفيف، والرَّمَل)، ورُبَّما يرجع السبب في ذلك إلى أنَّ هذه البحور تَتَّسِع لعرض التجربة كاملة دُونَ نقصٍ أو فُتُور، بالإضافة إلى أنَّها تتسمُ بجرْسٍ مُوسِيقِيٍّ يُثير الرّغبة للغوص في أعماق النّص وفَهْم معانيه .

---

(١) شكري عياد:(موسيقا الشعر العربي)، دار المعرفة، ط٢، القاهرة١٩٧٨م،ص١٦٠ .

(٢) د. شوقي ضيف:(الفن ومذاهبه في الشعر العربي)، دار المعارف، ط٤، القاهرة ١٩٦٢م، ص٣٨ .

فَهَا هُوَ يُصَمِّمُ لوحةً مُوسِيقِيّةً بديعة الأنغام والألحان على وَتَر بحر البسيط الذي يَتَمَيَّز بانبساطه وتمدُّدِهِ فيقول [١]

وَلَّى الشِّتَاءُ وَفِي جَوْفِ الثَّرَى نُطَفٌ جَنِينُهـــا بالرَّبِيع اليَـــوْمَ يَكْتَمِــلُ
تَعَهَدَتْهُ غَـــوَادِي السُّــحْبِ هَامِيــةً حَتَّى اسْتَوَى مِنْهُ سَاقٌ نَاعِمٌ خَضِلُ
وافْتَــرَّ مبسمُهُ المَوْرُودُ عَنْ فَلَــقٍ وَاخْتَالَ بَيْنَ السَّوَاقِي عِطْرُهُ الجَذِلُ

فالأجواء الرَّبيعيَّة أرْختْ بظلالها المُوسِيقِيَّة على مَخْيَلة الشّاعر فشكَّلَ لوحةً فنِّيَّةً مُحلَّاةً بإيقاعٍ عذبٍ يتردَّدُ صَداهُ مع انبساط كُلِّ كلمةٍ، ويترنَّمُ على ألحان بحر البسيط .

٢ ــ المُوسِيقا الدَّاخليّة :

إنَّ اختيارَ الكلماتِ، والبراعة في تنظيمها وتشكيلها يُبَرْهِنُ على امتلاك الشّاعر الذَّوْق المُوسِيقي المؤثِّر الذي يُبْدِعُ من نَظْمِه نَغَمًا يُؤسِرُ قلبَ المُتَلَقِّي ويُمْتِعُ أحاسِيسه ومشاعره .

ولعلَّ براعة النظم عند(مُحَمَّد الحَلَوِيّ) خيرُ شاهدٍ على قُدْرَته المُوسِيقِيَّة ومهارته في توظيف الرَّنين وتموُّجِهِ داخل حروفه وألفاظه وتراكيبه، مما يعود على قصائده بالأُلفةِ والقبول .

فدقة نظم الكلمات والحروف كان عن اتقانٍ ووعيٍّ مُوسيقِيّ، حيث يقول من بحر [الكامل]: [٢]

أنَّى الْتَفَتَ رَأَيــْتَ فَيْضًـــا مِنْ سَنَىً وَسِرْيتَ فِي كَوْنٍ زَهَتْ أقْمَارُهُ
وَسَمِعْتَ مُوسِيقَى الطَّبِيعَةِ هَمْسَةً وَخَرِيرَ نَهْـــرٍ صَـــــاخِبٍ تَيَّارُهُ

---

(١) (ديوان مُحَمَّد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص١٠٠ .
(٢) (ديوان مُحَمَّد الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، مصدر سابق، ص٩٧ .

وَغِنَاءَ شَحْــرُورٍ وَسَجْعَ حَمَامَةٍ وَنَدِيـــــــمَ حَيٍّ أَطْرَبَتْ أَسْمَــارُهُ

لعلَّ تلاحُمَ حروفِ الجَهْرِ بأصواتها الرنَّانة مع حروفِ الهمس بأنغامها المُترنِّمة بالإضافة إلى صوت النُّون الناشئ عن التَّنوين، سوغ القبول والمتعة والإقناع، حيث أعطَى النّصَّ روعةَ التّمازُجِ المُوسِيقيِّ المُرْتَفِع بالرَّنين والضَّجيج مرَّةً، والمُنْخَفِض بالهمس والحنين أخرى ممَّا أثرى الإيقاع الدَّاخِلي بالحيويَّة والمُرُونة .

هذا بالإضافة إلى استخدامه الكثير من المهارات الفنية التي أثرت الموسيقا الداخلية كالمحسنات البديعية من (طباق، جناس، سجع، مقابلة، وتورية)، والتكرار الذي أثرى النغم وأعطى مساحة للتفكير والتأمل والقبول والإقناع والإمتاع .

ومن خلال ماسبق يتبين أنَّ الإبداعَ الفنِّيَّ والتَّكْوينَ الجماليَّ في شعر (الحَلَوِيّ) كان ذا أثَرٍ فعّالٍ وقويٍّ في إقناع المتلقي بتجربته والإحساس بوجدانه، وما يدور في فِكْرِه ومَخْيَلَتِه .

كما يتبيَّن أنَّ (الحَلَوِيّ) كان ذا عبقريّة فنيَّة عالية، حيث أدرك العناصر الإبداعيَّة التي تخدم نتاجه وتسوغ لتجربته القبول والإمتاع .

الخاتمة

الحمد لله حمد الشاكر على فضله وكثير نعمائه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه رسول الهدى ونبي التقى وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

أمَّا بعد،،،،

فالإبداع الفنِّي بما يحمله من وسائل الإقناع والجذب مغزى كل شاعر، بل وكل أديب حتى يلقى نتاجه القبول والترحيب من قارئيه ويؤدي دوره المنوط به وهو توصيل هدف الأديب أو الشاعر والإحساس بما يعانيه ويقصده، من هنا كان هذا البحث يدور حول عناصر الإبداع الفنِّي في شعر (محمد الحَلَوِيّ)، وذلك لما آل إليه هذا الشاعر من خصائص وآليات جعلت خطابه الشعري يتمتع بالإقناع والجذب والإثارة، وقد وصل هذا البحث إلى العديد من النتائج المبثوثة في ثنايا البحث والتي من أهمها:

١ ـــ أنَّ التعلُّقَ الشَّديد بالوطن، وإظهار الولاء والوفاء له يُولِّد في التجربة الشعرية والإبداع الأدبي الإقناع والجذب، ويؤسر وجدان المتلقي، ويحرك عواطفه، فيتمتع بإبداع فنِّي مؤثر.

٢ ــ أنَّ حُبَّ المعرفة والاطلاع، وما امتاز به(الَحلَوِيّ) من ثقافة عالية جعل التجربة الشعرية عنده سريعة الفهم واضحة المعالم تسري في قبول واستمتاع

٣ ـــ أنَّ الجوانبَ الفنِّيَّة التي طرقها (الحَلَوِيّ) في شعره من حُسن اختيار للألفاظ الدالة على المعاني التي ينشدها، وبراعة في الأسلوب مع توظيف جيد للأساليب والمحسنات البديعية، والنغم الموسيقي سواءً الخارجي أو الداخلي، كل ذلك أدعى للقبول والإقناع والاعتراف بالبراعة الفنية، والقدرة

على حسن الأداء الشعري.

وبعد،،،،، فالحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع أتباعه.والله ولي التوفيق والسداد.

الباحث

د. زعبوط جهلان مصطفى صابر

مدرس الأدب والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في قنا

المصادر والمراجع

القرآن الكريم تبارك مَنْ أنزله .

١ ــ إبراهيم أنيس:(موسيقا الشّعر)،مكتبة الأنجلو المصرية،ط٥،القاهرة ١٩٨١م .

٢ــ إبراهيم عبد الرحمن : (الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية)، مكتبة الشباب، القاهرة، .

٣ ــ إبراهيم الغنيم:(الصُّورة الفنِّية في الشّعر العربي)، الشركة العربية للنشر والتوزيع،ط١، القاهرة (بدون تاريخ).

٤ــ الأب روبرت: كامل اليسوعي:(أعلام الأدب المعاصر: سير وسير ذاتيَّة) ، مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر، جامعة القديس يوسف، الشركة المتحدة للتوزيع، المجلد الأول، ط١، بيروت١٩٩٦م.

٥ ــ أبو القاسم الشابي:(الخيال الشّعري عِنْد العرب)، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة،(بدون تاريخ) .

٦ ــ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، مطبعة المكتبة العصرية، بيروت .

٧ــ أحمد بدوي:(أسس النقد الأدبي عِنْد العرب) ، دار نهضة مصر، ط٦، القاهرة ٢٠٠٤م.

٨ ــ أحمد الشايب: (الأسلوب)، مطبعة مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية عشرة ، ٢٠٠٣م ص ١٠٥ .

٩ ــ أحمد بن عبد الوهاب، شهاب الدين النويري:(نهاية الأرب في فنون الأدب)،دار الكتب والوثائق القومية، ج٧، الطبعة: الأولى، القاهرة

١٤٢٣ه

١٠ – أكرم ضياء العمري : (دروسفي البلاغة العربية)، المركزالثقافي العربي ، ط١ ، بيروت ١٩٩٢ .

١١ ــ الإمام أحمد بن حنبل:(مسند الإمام أحمد بن حنبل)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ج٣١، ط١، حديث رقم ١٨٧١٧، القاهرة٢٠٠١م ..

١٢ــ جابر عصفور:(مفهوم الشّعر)، دار الثقافة، القاهرة١٩٨٧م .

١٣- حمدان مصطفى:(أهر البلاغة وحسن الصنيع في علمي المعاني والبديع) ، نوابغ الفكر ، ط١ ، القاهرة ٢٠٠٩ م .

١٤ ــ حسين نصار:(الطَّبيعة والشّاعر العربي)، دار مصر للطباعة، القاهرة ١٩٧٢م.

١٥ ــ الخوارزمي:(الأمثال المولدة)، مطبعة المجتمع الثقافي، أبوظبي ١٤٣٤ه .

١٦ – الدميري : (حياة الحيوان الكبرى)، الكتب العلمية ، ط٢ ، ج٢ ، بيروت ١٤٢٤هـ .

١٧ ــ (ديوان الحَلَوِيّ: أوراق الخريف)، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية .

١٨ ــ (ديوان الحَلَوِيّ: أنغام وأصداء)، دار السلمى، ط١،الدار البيضاء ١٩٦٥م.

١٩ ــ رجاء عيد:(فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور)، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٨م .

٢٠ــ رشيد علي حسن:(شعر الطَّبيعة في العصر العباسي الثاني)، دار

عمان، ط١، عمان، الأردن١٩٨٨م .
٢١ ــ سالم عبدالرازق سليمان:(ترسُل الشُّعراء في الأندلس)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة٢٠٠٨م .
٢٢ ــ سيد قطب:(منهج الفن الإسلامي)، دار الشروق، القاهرة ١٩٧٢م.
٢٣ ــ شكري عياد:(موسيقا الشعر العربي)، دار المعرفة، ط٢، القاهرة ١٩٧٨م .
٢٤ ــ شوقي ضيف:(الفن ومذاهبه في الشعر العربي)، دار المعارف، ط٤، القاهرة ١٩٦٢م .
٢٥ ــ ابن طباطبا العلوي:(عيار الشعر) ، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع ، مطبعة مكتبة الخانجي القاهرة .
٢٦ ــ عبد القادر القط : (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر)، مطبعة مكتبة الشباب، ١٩٨٨ م .
٢٧ ــ عبدالله الطيب المجذوب:(المرشد إلى فهم أشعار العرب)، دار الفكر العربي ط١ ، ج٢، بيروت ١٩٧٠م .
٢٨ ــ عبدالمنعم تليمة: (مدخل إلى علم الجمال الأدبي)، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٢م .
٢٩ ــ (عبده عبدالعزيز قلقيلة: (البلاغة الاصطلاحية)، دار الفكر العربي، ط٣، بيروت١٩٩٢م، ص٢٥٩ .
٣٠ ــ عز الدين إسماعيل:(التفسير النَّفْسِيَ للأدب)، دار العودة، بيروت١٩٦٣م .
٣١ ــ عز الدين منصور: (دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر

المعاصر)، مطبعة مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـــ/ ١٩٨٥ م .

٣٢ ــ علي الجارم، ومصطفى أمين:(البلاغة الواضحة)، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩م .

٣٣ ــ عمر عبدالرحمن الساريسي:(معالم الأدب الإسلامي: المصطلح، الخصائص، القضايا، الفنون)، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، الكويت ٢٠٠٣م .

٣٤ ــ محمد زكي العشماوي: (قضايا النقد الأدبي المعاصر)، الهـيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .

٣٥ ــ محمد الصادق عفيفي:(النقد التطبيقي والموازنات)، مطبعة مؤسسة الخانجي بمصر دون إشارة إلى تاريخ، ورقم الطبعة .

٣٦ ــ مصطفى السعدني: (البنيات الأسلوبية في لغة الشّعر العربي الحديث)، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨٧م .

٣٧ ــ معجم البابطين، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الشّعري، ٢٠٠٨م

٣٨ ــ إدريس الكنبوري:(الحَلَوِيّ.. شاعر المغرب الأقصى)، مقال على شبكةالإنترنت الدولية، موقع الإسلام اليوم....www.uopapylon.